الروض الأنيق
في وصول الطالبين
إلى مقام التحقيق

تأليف

الشيخ العلامة الصوفي المرشد
محمد بن محمود بن علي
الشافعي الدامواني الخلوتي النقشبندي

المتوفى بعد سنة ١٢٠٨هـ

المؤلـــف

هـــو: الـــشيخ محمد بن محمود بن علي الداموني الصوفي خادم السجادة البكرية بمصر.

قـــيل إنـــه كان حيا حتى سنة ١٢٠٨هـــ وهي السنة التي انتهى فيها من تأليف شرح كتاب التدبيرات الإلهية لابن عربي.

له مؤلفات منها:

١- الـــنفحات القدسية في شرح التدبيرات الإلهية للشيخ الأكبر فرغ منها سنة ١٢٠٨هـــ

٢- الروض الأنيق في وصول الطالبين إلى مقام التحقيق.

٣- السر الخفي المضمر على كتاب الإسرا لابن عربي.

٤- وكشف القناع المعجب عن حدود عنقاء مغرب.

وعن مصادر ترجمته فقد ذكره:

١- كحالـــة في معجم المؤلفين ١٢/٤ باسم: محمد الداموني. وقال: (كـــان حـــيا ١٢٠٨ هـ =١٧٩٤ م) وهو:محمد بن محمود بن علي الداموني، البكري. صوفي..إلخ

٢- البغدادي: هدية العارفين ٢: ٣٥١،

٣- الـــبغدادي: إيـــضاح المكـــنون ٢: ٣٦٥ ٤٧٩:

Brockelmann: s , II

٤- فهرس مخطوطات الظاهرية.

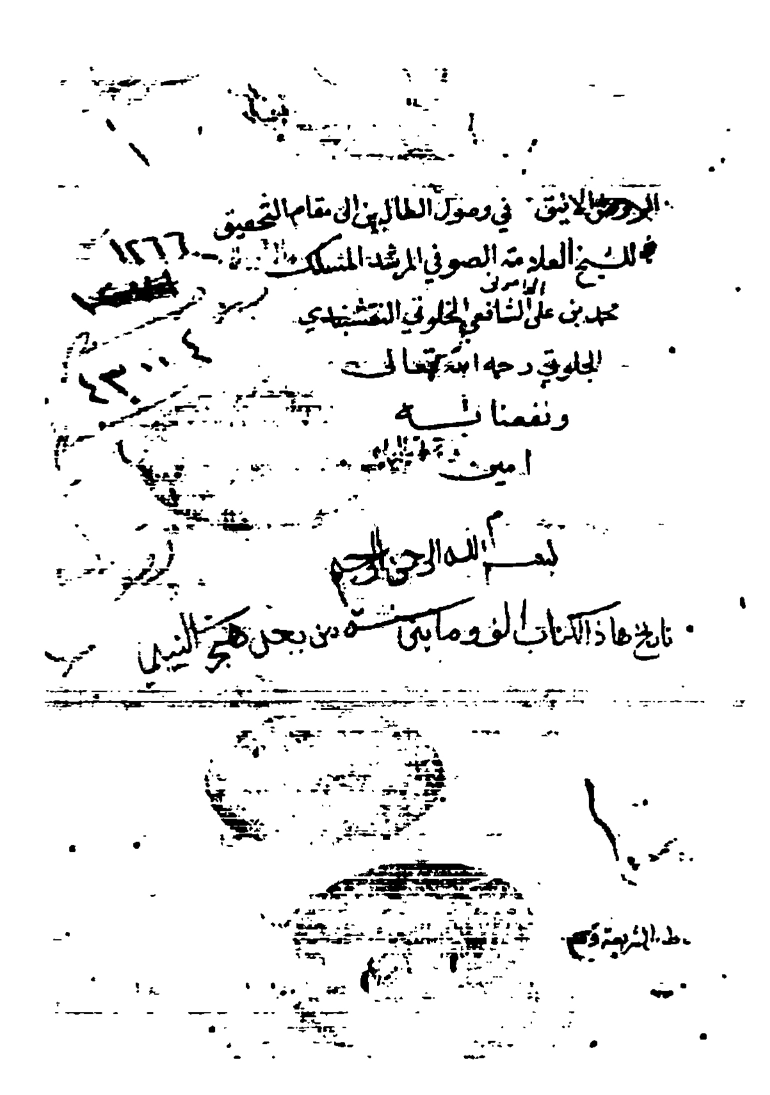
نسخة الكتاب
المخطوطة

اعـــتمدت في تحقيقي لهذا الكتاب على نسخة خطية من المكتبة الأزهرية الكائنة بالجامع الأزهر الشريف، وحصلت على صورة ورقية لها، وهي تحت رقم (خـــصوصية ١٢٦٦) ٤٣٠٠٤ تصوف، ليس عليها تملكات ولا أختام خاصة، ولا ساعات، وخلافه.

النـــسخة كتـــبت بخط نسخي معتاد، ما عدا العنوان، وكذلك الصفحة الأخـــيرة. فقد كتب بخط سميك وبطريقة الهرم المقلوب، وأسفل العنوان كتب: بسم الله الرحمن الرحيم تاريخ هاذا(كذا بالأصل المخطوط) الكتاب ألف ومائتين سنة من بعد هجرة النبي (ﷺ).

- عدد الصفحات يقع في ٢٨ ورقة.
- عدد الأسطر في الصفحة الواحدة ١٧ سطرا.
- عدد الكلمات في السطر الواحد من١٦-١٧كلمة.
- العناوين الداخلية للفصول وبعض العناوين الجانبية كتبت بالحبر الأحمر فهي ضعيفة في التصوير.
- لا توجد أية تفاصيل أخرى بالمخطوط يمكن أن تلفت النظر سوى ما يمكن الوقوف عليه أثناء التحقيق، وهي أمور يسيرة أيضا.
- لا يوجد أختام خاصة سوى ختم المكتبة الأزهرية.

نماذج من صور المخطوط



الدر الرائق في وصول الطالبين إلى مقام التحقيق
للشيخ العلامة الصوفي المرشد المسلك
محمد بن علي الشافعي الخلوتي النقشبندي
الجلوتي رحمه الله تعالى
ونفعنا به
آمين
بسم الله الرحمن الرحيم

الصفحة الأولى من مخطوط الكتاب

بنقاره وينادي لهم ويطرحها بينهم ويمتد من لهم [illegible] ايضا اللهم مع الزلل والانكسار

وصبره على مصايب الذنوب ويتحقق انه مخلوق مثله وان الذي ابتلاه بذلك قادر

ان يبتليه كما ابتلاه فيحمد الله الذي عافاه مما ابتلى به اخوه ويرحمه بقلبه ويدعو له بظهر

الغيب بالمغفرة والتوبة والانابة وهكذا ساير الذنوب والله يقول الحق وهو يهدي

السبيل [illegible] وللدرس وصلى هذا وقد وجدنا اخر نسخة المؤلف عفا الله عنه

قال بفمه ورقمه بقلمه [illegible] الفقرا واضعف الضعفا واعجز العاجزين

المعترف بتقصيره في كل وقت وحين المرتجي من مولاه ان يسامحه ويغفر له

ذنوبه واحبابه والمسلمين محمد بن علي [illegible] المخلوقين النقشبندي

[illegible] امين [illegible] والاولياء والصلحاء [illegible]

والمقربين والشهداء والصالحين وجعلني [illegible]

[illegible] الفائزين واغفر لي [illegible]

واصلح ما بيدي [illegible] وعاملني بالمغفرة

وحسن خاتمة ولجميع المسلمين [illegible]

[illegible] في [illegible] عشر [illegible]

سنة ست وتسعين [illegible]

[illegible] النبوية على صاحبها افضل الصلاة

واتم التسليم امين امين

اللهم امين

الصفحة الأخيرة من مخطوط الكتاب

الروض الأنيق

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أنزل أقوال الشريعة لتكليف أهل الإيمان، وأمر بأفعال الطريقة لقرب الموقنين بالأذهان، ووهب أحوال الحقيقة بالمجاهدة للعارفين بالشروط والآداب والأركان، وكشف سبحات وجهه بالمحبة للعاشقين في كل زمان ومكان، وأوضح أسرار الوحدة بنفي سواه في كل آن، فسبحان من أعطى حبيبه خزائن العلم، وجوامع الكلم، والسبع المثاني، والكتاب المبين المصان، والمرسلة بالخلافة الكبرى إجراء أحكامه في العالمين أهل التصديق في الأحاديث والقرآن، وجعل طاعته كطاعته بل عين طاعته موصلة لحقيقة حق اليقين بالعرفان، وأوجب إتباعه على الثقلين الإنس والجان. فمن تتبع أقواله وأفعاله فهو من الفرقة الواصلين بالمشاهدة والشهود لحقيقة حق اليقين. ومن تتبع أقواله وأهمل أفعاله يوشك أن يكون من الهالكين.

والصلاة والسلام على النبي الصادق الأمين، الذي لقّن أصحابه الذكر الجهري، والذكر الخفي ليكونوا بذلك من الفائزين، وأرشدهم إلى شهود معبودهم ونقلهم من مقام التلوين[1] إلى مقام التمكين[2]. وأدبهم بآداب العبودية

---

(١) (مقام التلوين): هو تنقل العبد في أحواله. قال الشيخ في الفتوحات: إنه عند الأكثرين مقام نقص وعندنا هو أكمل المقامات، حال العبد فيه هو حال قوله تعالى: (كل يوم هو في شأن) (الرحمن/٢٩) والتلوين له مراتب عديدة أولها: تلوين التجلي الظاهري، الذي هو عبارة عن ظهور آثار الأسماء الإلهية، فإذا تعاقب ظهور آثارها المتنوعة الأحكام المتلونة الآثار على قلب السيار. فإن ذلك التعاقب يسمى تلوينات التجليات الظاهرية. وثاني المراتب هو: تلوين التجلي الباطني وهو تعاقب أحكام التجليات الباطنية حتى ينحجب السائر بأثر كل واحد منها عن الآخر. ثم المرتبة الثالثة، وهي مرتبة تلوين تجلي الجمع: وهو التلوين الواقع في مرتبة الجمع والبرزخية الحاصلة بين الظاهر والباطن فإن أحكام كل واحد منها بموجب خصوصيتها، وآثار تميزاتها تستلزم الانحجاب عن الآخر، فيسمى ذلك الانحجاب تلوينات تجليات رتبة الجمع والبرزخية.
انظر: القاشاني: لطائف الإعلام في إشارات أهل الإلهام (بتحقيقنا): ١/٣٤٦.

(٢) (مقام التمكين): أما التمكين فهو عبارة عن التمكين في التلوين، وعند غير الشيخ ابن عربي فهو يعبر عن حال أهل الوصول، ومراتب التمكين أيضا ثلاث مراتب. المرتبة
=

ليكونوا بذلك من المقربين.

وعلى آله وأصحابه الذين سلكوا سبل النجاة بالمتابعة، والمبايعة، والتلقين. ووصلوا إلى الأخذ بالاستقامة مع الاستدامة وكانوا من الحائزين، وعلى التابعين لهم في الطريقة بالعلم والعمل فما هم معه من الذاكرين.

أما بعد:

فإن أحلى ما تتحلى به النفوس النفيسة الاستقامة مع الله تعالى بمتابعة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في جميع أقواله، وأفعاله، وأحواله.

فأما أقواله : فهي الشريعة.

وأما أفعاله: فهي الطريقة.

وأما أحواله: فهي الحقيقية.

فكل منها لازم للآخر لا ينفك عنه أبداً، وفى حديث مرفوع: **(الشريعة أقوالي والطريقة أفعالي والحقيقة أحوالي)** [1]. فحينئذ فمن تتبع أقواله وأهمل أفعاله فهو من أفسق الفاسقين وأضل الضالين، ومن تتبع أفعاله وأهمل أقواله فهو زنديق متين، وإن إدعى الوصول فهو صادق ولكن إلى أسفل السافلين، ومن إدعى أحواله وأهمل أقواله وأفعاله فهو من الضالين المضلين، بل هو من إخوان الشياطين. لا بل هو رئيس الشياطين.

إذن الشرع باب، والحقيقة دار. قال الله تعالى في محكم الكتاب العزيز

=

الأولى: التمكين في تلوينات التجليات الظاهرية. والمرتبة الثانية: التمكين في تلوينات التجليات الباطنية. والمرتبة الثالثة:التمكين في تلوينات التجليات الجمعية. انظر التفاصيل: المرجع السابق ٣٤٨/١.

(١) حديث: (الشريعة أقوالي، والطريقة أفعالي، والحقيقة حالي، والمعرفة رأس مالي).
هكذا أورده العجلوني صاحب كشف الخفاء في كتابه: الحديث رقم (١٥٣٢) ٥١٨/٢، وقال فيه: لم أر من ذكره فضلا عن بيان حاله. نعم ذكر بعضهم أنه رآه في بعض كتب الصوفية. فليراجع. وهذا ربما يطلب من الذي يأخذ بنص الحديث أن يراجعه قبل العمل به.

المصون:

﴿ وَأْتُوا ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا ۚ وَٱتَّقُوا ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[1]. فالذي لا يأتي البيوت من أبوابها لا تصدق له أقوال، ولا أفعال، ولا أحوال فهو لص في الطريق فاحذره، لئلا يفسد عليك دينك فتكون من النادمين. لأن الشرع أصل، والطريقة فرع، والحقيقة ثمرٌ، فلا يكون الثمر إلا بوجود الأصل والفرع، ولا يكون الفرع إلا بوجود الأصل. فأصل بلا فرع لا يُعبأ به، وفرع بلا أصل لا يُعبأ به، وثمر بلا فرع لا يُعبأ به. وأضرب لك مثالا آخر تعرف منه الشريعة، والطريقة، والحقيقة وتتحقق بالجزم أنها شيء واحد وهو:

أن الشريعة كالبيضة لها ظاهر وهو القشر، ولها باطن وهو اللب الأبيض، ولهــا بـــاطن الباطن وهو اللب الأصفر. وحقيقة هؤلاء الثلاثة شيء واحد وهو البيضة ؛ فالقشر الظاهر مثال لظاهر الشريعة، واللب الأبيض مثال لباطن الشريعة وهو الطريقة، ولب اللب الأصفر مثال لباطن باطن الشريعة وهو الحقيقة. وحقيقة هــؤلاء الثلاثة شيء واحد وهي الشريعة فياليت شعري وقد تضع المرء بالقشر مـــاذا يحصل له من الفائدة ومن أراد الوصول إلى اللب الأبيض فمن أين يكون الوصول ؟!

فهل له باب آخر يتوصل إليه منه من غير القشر ؟

ومن أراد الوصول إلى لب اللب الأصفر فمن أين يكون الوصول إليه إلا أن يخرق القشر الظاهر واللب الأبيض حتى يصل إليه ؟

وهذا أمر محسوس لا ينكره إلا من استولى عليه الشيطان والنفوس ﴿ ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ۝١٩ ﴾ (المجادلة /١٩). وكيف يسوغ لأهل الطريقة

---

(١) الآية رقم (١٨٩) من سورة البقرة ونصها: ﴿ ۞ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ۗ وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَأْتُوا ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا ۚ وَٱتَّقُوا ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝١٨٩ ﴾ البقرة/ ١٨٩

والحقيقة أن يخالفوا ما أتاهم به رسول الله(صلى الله عليه وسلم) ويفعلوا فعلا لا يجوز فعله إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم).فحاشاهم من ذلك بل يجب عليهم أن يتمسكوا بظاهر الشريعة خوفا أن تزل أقدامهم فيكونوا من الهالكين. نسأل الله العافية لنا ولإخواننا وأحبائنا والمسلمين. لأن السلوك في الطريق خطر عظيم ولا يعينهم على الوصول لحضرة القرب من الله تعالى إلا التمسك بأذيال الطريقة إلى الممات، وأما ما يصدر من بعضهم من الشطح بما يخالف ظاهر الشريعة فمأوّل بتأويل مطابق لظاهر الشريعة حرفا بحرف، ولا يقع ذلك منهم أيضا إلا فى مقام جمع الجمع[1]، وهو الاستهلاك في الله تعالى بالكلية حين يرون الأكوان لا وجود لها بقطع النظر عن الموجد لها فهم فانون فى الله عن أنفسهم، وفى حالة السكر ما ترقوا إلى مقام البقاء. ومن كان هذا حاله فهو معذور أيضا لأنه سكران، والسكران بغير اختياره ساقطة عنه التكاليف الشرعية.

وأمـــا إذا رجع من السكر للصحو والإحساس نـــزن جميع ما يصدر منه بميزان الشريعة فكل ما وافق مقبول منه، وكل ما خالف وخرق الإجماع فمردود علــيه، ونجـــرى عليه سائر الأحكام الشرعية ونعده من الفرقة الضالين المضلين كالزنادقة وأضرابهم من الملحدين، ونحن عليهم من رؤوس المنكرين فلا نوافيهم ولا نصافيهم ونحكم بكفرهم ولو طاروا في السماء ومشوا على الماء ولا نفارق الشريعة الغراء طرفة عين. فهذا مذهبنا لأن الشريعة ميزان لأهل الحقيقة فكل قول أو فعل لا يطابق الشريعة إذا تأول فهو مردود وصاحبه مطرود. وأما الذي يصدر

---

(١) (الجمع) هو الاشتغال بالحق بحيث يجتمع الهم، ويتفرغ الخاطر للتوجه إلى حضرة قدسه، وهو عكس الفرق، وهو تفرقة الخاطر عن ذلك. فالجمع أعلا مقامات التوحيد بتلاشي الحدث في القدم.

أمّا جمع الجمع: فتارة يراد به ما قاله المؤلف، وتارة يراد به حق في خلق، كما أن الجمع حق بلا خلق،والفرق رؤية خلق بلا حق. وقد يعنون بجمع الجمع شهود الوحدة في الكثرة، وشهود الكثرة في الوحدة.انظر: القاشاني: لطائف الإعلام:٣٩٢/١ والشيخ محمود خطاب السبكي:ص٢٦١.

مـــنه شيء لا يخرق به الإجماع فلا تنكر عليه ذلك لاحتمال أن يكون صدر منه علـــى مـــذهب من يرى صحة ذلك. ولما عرفت يا أخي أن الشريعة والطريقة والحقـــيقة شيء واحد فاحذر أن تدخل للطريقة على جهل من الشريعة. أي مما يجـــب عليك معرفته لا العلم الزائد على الاحتياج لأن العلم الزائد على حاجتك سنة وأما تزكية نفسك من الأفعال القبيحة ففرض. فيجب عليك أن تقدم الفرض على السنة ومتى زكيت نفسك ثم قرأت جميع العلوم فلا بأس بل ذلك نور على نور فاجعل العلم مصباحك فى ظلام النفوس تنجو به من العكوس. فها أنا أشرح لـــك الشروط، والأركان والآداب الموصلة. من تمسك بها إلى حضرة الاقتراب وذلـــك علـــى حـــسب ما وصل إليه علمي وفهمي وذوقي وعزمي لكوني من العاجـــزين غير أنني تشبهت بالمتشبهين وتلقطت هذه الكلمات من آثار ساداتنا الـــصالحين (قـــدس الله أسرارهم) وعاد علينا باقتفاء أثارهم وأما الفقير الحقير {فإني}[1] لست من فرسان هذا الميدان. ومن أين لمثلي أن يجول مع الفرسان ! بـــل ولا يـــوجد في شـــروط الإرادة كالمريدين، فضلا عن أن أكون من السادة المؤلفين أرباب المعارف والتمكين. ولكن حركتنى يد القدرة الأزلية لجمع هذه الرســـالة المختصرة المفيدة من أقوال ساداتنا المتقدمين لبعض الأخوان الطالبين، ولاحظـــت في ذكى قول من قال من السادة القادة أهل التمكين (قدس الله سره) وأعاد علينا وعلى المسلمين بره آمين في قوله:

إن لم تكونوا مثلهم فتشبهوا * إن التشبه بالكرام فلاح

وسميتهما (**بالروض الأنيق في وصول الطالبين إلى مقام التحقيق**)

وأســـأله جـــل جلالـــه أن يجعلها خالصة لوجهه الكريم، وأن يهدى بها السالكين إلى الصراط المستقيم.

إعلـــــــم يا أخي – وفقني الله وإياك لمرضاته وأشهدنا كمال ذاته – أن الشروط والأركان والآداب في الطريقة لا بُدَّ منها فمن لم يأت بالأركان والآداب

(١) ما بين المعقوفتين من المحقق، يقتضيها السياق.

تامة مع استكمال الشروط فهو كدابة الرحى، أو كالحمار المربوط. أعني لا يجئ منه شيء في الطريق بل يُخشى عليه أن يصير زنديق الزناديق، فلو عبد الله تعالى ألف سنة مع إهمال ما تقدم من الشروط والأركان والآداب إن سَلِمَ من الضلال فلا يضع له قدما من داخل الباب. وإنما أعلا مقاماته، إن لاحظته يد العناية من قبـــيل الكـــرامة، فيصل إلى مقام النفس اللوامة. وإن لم تلاحظه العناية لا يفارق النفس الأمارة ويبتلى في حب الإمارة فيرجع القهقرى إلى أسفل سافلين، ويأخذ بناصية الهوى وإبليس اللعين حمانا الله من ذلك وأنقذنا من المهالك.

۞ فأما الشروط فهي[1]: التوبة، والإنابة قبل البيعة، ثم البيعة من الشيخ الكامـــل فهـــو آكدها، ثم الجوع، والسهر، والصمت، والعزلة، والذكر الدائم، والفكر المتراكم.

فأما التوبة، فهي: أول منازل السلوك، وآخرها.

لأن معنى التوبة من حيث الشريعة هي الرجوع للطاعات من المعاصي.

---

(١) (شروط الإرادة):عقد السادة شروطا للمريد لكي يكون في طريق السلوك إلى الله، ويصح له وقتئذ أن يكون مريدا صادقا يمكن له أن يدخل في عداد السالكين إلى الله تعالى وهذه الشروط التي اصطلحوا عليها خمس: أولها أن يخرج الإنسان عن عادته، لا كيف ما كان، بل عما تقتضيه عادات الطبع ورعونات النفس، وتوجه دواعي الهوى إلى الاقتدار بوظائف الشرع، مطيعا للأوامر والنواهي الإلهية. وثانيها: أن ينصرف الإنسان عما لا يصح له بعد أن يعد مريدا إلا بالصرف عنه، وهو أن لا يتزين بين الناس بشيء من وظائف العبادات، أو كريم العادات التي جرت عليها عادة أهل الإرادة.

ثالثها: صدق القصد بأن لا يشوب إخلاصه رياء ولا سمعة، ولا ميل إلى الصيت فحري يوشك أن يكون مريدا صادقا في قصده للدخول في هذا المر الجليل الشأن.و رابعها الإقبال على الله تعالى بالكلية، بأن يتلافى كل تفريط بحيث لا يترك فريضة تفوته حتى ينصلح قلبه. و خامسها: أن لا يحتمل الإنسان الموصوف بصفة الإرادة لله تعالى داعية تدعو إلى نقض عهد، ولا يصبر على صحبة ضد، ولا يقعد عن الجد بحال. انظر: القاشاني: لطائف الإعلام (معجم للمصطلحات والإشارات الصوفية)١/٣٨، وانظر الشروط التي اختارها الشيخ محمود خطاب السبكي: أعذب المسالك المحمودية إلى منهج السادة الصوفية. بتحقيقنا: ص١٣٦.

ومن حيث الطريقة رجوع عن مقام الغفلة إلى مقام الحضور.

ومن حيث الحقيقة رجوع إلى الله عن جميع ما سواه.

وأشار (صلى الله عليه وسلم) إلى هذا المعنى الحقيقي بقوله (صلى الله عليه وسلم):

(إنه ليغان على قلبي فاستغفر الله في كل يوم سبعين مرة)[1] فبه تكون التوبة لازمة لكل أحد في كل حال من الأحوال وكل زمن من الأزمان. قال الشيخ الشبلي (قدس الله سره) وأعاد علينا وعلى المسلمين بره: من قال: أتوب غدا لقد همّ بمعصية الله في الحال لأنه ترك الواجب عليه في ذلك الوقت وهى التوبة لأنها واجبة لما أمر الله بها عباده على العموم في قوله: ﴿ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (النور/٣١).

وأما الإنابة: فهي الاستسلام لله تعالى ولقبول أحكامه المنزلة منه على العباد قال تعالى: ﴿ وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُواْ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ ﴾ (الزمر/٥٤). فبين التوبة والإنابة مساواة من حيث الشريعة[2].

---

(١) حديث: (إنه ليغان على قلبي.....) بهذا اللفظ متفق عليه من حديث الأغر، وباقي الروايات كلها حوالي أربعين رواية (أستغفر الله في اليوم مائة مرة). انظر: سنن أبي داود ١/٨، ٤٧٥، ومسند أحمد بن حنبل ٤/٢١١ الحديث(١٧٨٨١)، وابن حبان ٣/٢١١ الحديث(٩٣١) والحكم في المستدرك:١/٦٩١، والطبراني في الكبير ١/٣٠٢ الحديث رقم (٨٨٧) والبيهقي في شعب الإيمان ١/٤٣٨/٦٤٠، والسنن الكبرى: ٧/٥٢/ ١٣١٩، والنسائي: ٦/١١٦، وأبو نعيم: حلية الأولياء: ١/٣٤٩، والعجلوني في كشف الخفاء ١/ ٢٥١.

(٢) (الإنابة) ثلاثة أشياء: الرجوع إلى الحق إصلاحا، كما رجع إليه اعتذارا. والرجوع إليه وفاء، كما رجع إليه عهدا. والرجوع إليه حالا، كما رجع إليه إجابة. وإنما يستقيم الرجوع إليه إصلاحا بثلاثة أشياء بالخروج من التبعات والتوجع للعثرات واستدراك الفائتات. وإنما يستقيم الرجوع إليه وفاء بثلاثة أشياء بالخلاص من لذة الذنب وبترك الاستهانة بأهل الغفلة تخوفا عليهم مع الرجاء لنفسك وبالاستقصاء في رؤية علل =

وأما من حيث الطريقة: فالإنابة أخص من التوبة لأن التوبة تشمل الرجوع عن الكفر والمعصية وغيرها. والإنابة هي الرجوع عن الغفلة فقط.

ثم اعلم أن للتوبة أركاناً أربعة: وهي الندم على المعصية، والاعتذار، والإقلاع عنها، وترك العود إليها. فإن نقص واحد منها لا تصح التوبة ولا يرجى قبولها عند الله.

ولها شروط وآداب:

أما الشروط: فهي الخوف من الله تعالى، وتعظيم الذنب، ومعرفة قساوة النفس وعدم إتباع شهواتها والإقلاع عن مألوفاتها، وانتباه القلب عن رقدة الغفلة. ورؤية التائب ما هو عليه من سوء الحال واستقباحه لذلك.

وأما آدابها: فهي اتهام التوبة أنها ليست بمقبولة عند الله لكونه لا يعلم أهو قد أتى بشروطها تامة كما هو المطلوب منه أم لا، ولكن يرجو العفو من الله تعالى لأن السيد قد يعفو عن عبده مع اقترافه الذنوب، ولكن يجب عليه أن لا ينسى الذنوب ما دام خلف الحجاب، ومتى روق له المشرب من بعد خرق الحجاب. فنسيان الذنب أولى في حضرة الاقتراب، ولكن يحذر من ارتكاب الذنوب، ومن الغفلة عن المحبوب، ويبكي على ما سلف برفضه للشهوات لأن الشهوات للإنسان آفات، ويهجر إخوان السوء في كلا الحالات، ولا يميل إليهم ولا عند الممات ويلازم صحبة العلماء الأفاضل ويهجر الأكابر والوسائل. فمن تاب هذه التوبة الجامعة للشروط والأركان والآداب تكون توبته نصوحا صادقة داعية للاقتراب فلا تبقى للذنوب أثر ويتنور قلب صاحبها بنور شمس المعارف والقمر ويكون صاحبها كيوم ولدته أمه وينتفي بذلك همه وغمه.

قال الواسطي[1] (قدس الله سره) التوبة النصوح: لا تبقى على صاحبها أثرا

= الخدمة. وإنما يستقيم الرجوع إليه حالا بثلاثة أشياء بالإياس من عملك ومعاينة اضطرارك، وشيم برق لطفه بك.انظر: الهروي: منازل السائرين: ٨ .

(١) (*الواسطى*) *أبو بكر الواسطى أبو بكر محمد بن موسى الواسطى* خراساني الأصل. من فرغانة. صحب الجنيد والنوري. قال الواسطى: الخوف والرجاء زمامان يمنعان العبد من =

من المعصية سراً ولا جهراً فمن كانت توبته نصوحا فلا يبالى كيف أمسى وأصبح.

ثم اعلم أن من نقض توبته بحب البشرية مرة أو مرارا فلا يقنط من رحمة الله ولا يقطع من رجائه بل يسارع إلى توبة أخرى لأن الله تعالى يحب توبة عبده، ولو يتوب عن ذنب ثم يعود إليه في يوم سبعين مرة، لأن الله يقبل التوبة عن عباده، ويعفو عن سيئاتهم فليكن العبد ملازما للتوبة عند كل ذنب، وفى كل وقت وعلى كل حال حتى يجئ أجل التوبة المكتوب عند الله فيتوب توبة لا يعقبها ذنب لأن لكل أجل كتاب.

فالحاصل أن العبد مأمور بالتوبة على كل حال سواء قبلها الله أو لم يقبلها وسواء أذنب العبد أو لم يذنب لأن التوبة عبودية تعبدنا الله بها فإن كانت من الذنب فهي واجبة، وإن كانت بغير ذنب فهي سنة قال (صلى الله عليه وسلم): (**توبوا إلى الله فإني أتوب إليه في كل يوم مائة مرة**)[1] فعلى كل حال لا بُدَّ للعبد أن يداوم على التوبة حتى يكون من التائبين الممدوحين في كتاب الله تعالى

= سوء الأدب. وقال: الواسطي: إذا أراد الله هوان عبد ألقاه إلى الأنتان والجيف يريد به صحبة الأحداث. سمعت محمد بن الحسين رحمه الله يقول: سمعت أبا بكر محمد ابن عبد العزيز المروزي يقول: سمعت الواسطي يقول: جعلوا سوء أدبهم إخلاصاً وشره نفوسهم انبساطاً ودناءة الهمم جلادة فعموا عن الطريق وسلكوا فيه المضيق فلا حياة تنموا في شواهدهم ولا عبادة تزكوا في محاضرتهم إن نطقوا فبالغضب وإن خاطبوا فبالكبر وثب أنفسهم ينبيء عن خبث ضمائرهم وشرههم في المأكول يظهر ما في سويداء أسرارهم. قاتلهم الله أنى يؤفكون. سمعت الأستاذ أبا علي الدقّاق رحمه الله يقول: سمع بعض المراوزة إنساناً صيدلانياً يقول: اجتاز الواسطي يوم جمعة بباب حانوتي قاصداً إلى الجامع. فانقطع شسع نعله فقلت: أيها الشيخ أتأذن لي أن أصلح نعلك فقال: أصلح. فأصلحت شسعه فقال: أتدري لم أنقطع شسع نعلي قال: لأني ما اغتسلت للجمعة!! فقلت له: يا سيدي هاهنا حمام تدخله فقال: نعم. فأدخلته الحمّام فاغتسل.انظر الرسالة القشيرية: ترجمة الواسطي.

(١) انظر تخريج الحديث المتقدم على هذا الحديث.

ولم يكن من المصرين المذنبين.

ثم اعلم أن الذنب داء ودواؤه التوبة. فمن أذنب ولم يتب حصل في نفسه داء آخـــر، ثم إذا أذنب ولم يتب يزداد داء آخر، وإن أصر على الذنب ولم يتب تمكـــن الداء حتى لا يرجى برؤه فيكون من الهالكين نسأل الله العافية قال (صلى الله عليه وسلم):

(ألا أدلكـــم علـــى دائكم ودوائكم ألا إن داءكم الذنوب ودواءكم الاستغفار) [1]

ثم اعلم أن التوبة على ثلاث مراتب:

- فمن رجع إلى الله خوفا من عقابه فهو صاحب التوبة.
- ومن رجع إلى الله بقصد القرب منه فهو صاحب الإنابة.
- ومن رجع إليه لقصد الترقى لمقام الشهود فهو صاحب الأوبة.

فكانت التوبة للعوام المؤمنين، والإنابة للخواص السالكين، والأوبة للأنبياء (عليهم الصلاة والسلام) والكمال بالوراثة عنهم من الأولياء الكرام.

وأمـــا توبة النبي (صلى الله عليه وسلم) فهي معنى الأوبة التي هي الرجوع إلى الله للترقـــي في مـــراتب الشهود ولكن عين قلبه أنوار فليس هو من ظلمات الأغيار.

وتوبة الله تعالى عوده إلى عبده بلطفه ورجوعه إليه بكرمه قال تعالى:

﴿ وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡكُمۡ ﴾ (النساء /٢٧) أي أن يلطف بكم.

وقال تعالى: ﴿ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡ لِيَتُوبُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ (التوبة /١١٨) أي وفقهم للتوبة. والرجوع عن الحرية فليس مقام أعلا من مقام التائبين إلى الله تعالى لأن من صحت له التوبة صحت له كل المقامات العلية، وحسن منه الحال وزكت منه الطوية.

---

(١) حديث: (ألا أدلكم على دائكم.....) انظر: شعب الإيمان: ٧١٤٧/٤٢٨/٥.
وله رواية أخرى عند البيهقي أيضا أنظرها في شعب الإيمان.

قال بعض العارفين: لأن يصح لك مقام التوبة، ويوفقك إليها خير لك من أن يطلعكـــم على سبعين ألف غيب. ولا بد لمن أراد البيعة أن يقدم التوبة عليها عـــند الـــشيخ الكامل. وأما **الشيخ الكامل**: فتعريفه هو من كَمُل على يد شيخ كامل، وشيخه كمل على يد شيخه كامل. وهكذا إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فيكون من أهل السلسلة وللشيخ علامات سيأتي ذكرها إن شاء الله تعالى.

ثم اعلـــم أن المريد إذا أخذ عن شيخ كامل وفيه الأوصاف المذكورة آنفا يعـــنى أشياخ كُمَّل إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم)متى قال يا شيخي تهتز السلـــسلة إلى رســـول الله (صلى الله عليه وسلم) وتمده رجالها وتأخذ بيده عند الـــشدائد والأهـــوال في ســـلوك الطريق وغيره.وإن أخذ عن شيخ لم تتوفر فيه الشروط المذكورة لم يكن من أهل السلسلة بل هو مقطوع لا يجئ منه شيء بل يخـــشى علـــيه الهوان من النفس والهوس والشيطان فإنهم يلعبون به كيف شاءوا فيكون من الهالكين نسأل الله العافية لنا ولإخواننا وأحبائنا والمسلمين وإلى ذلك أشـــار ســـيدي القطـــب الحقيقي السيد مصطفى البكرى الصديق[1] (قدس الله أسراره) وأشرق عليَّ شمس معارفه وأقماره في ألفيته حيث قال:

متى يحرك المريد السلسلة تأتي إليه من رجالها الصلة

---

(١) (السيد مصطفى البكري الصديقي): قطب الدين مصطفى بن كمال الدين بن علي بن كمال الدين بن عبد القادر محي الدين الصديقي أبو المعارف البكري الدمشقي الصوفي الحنفي الشهير بالقطب البكري ولد سنة ١٠٩٩ وتوفي بدمشق سنة ١١٦٢ اثنتين وستين ومائة وألف. صنف من الكتب الابتهالات السامية والدعوات النامية. الأربعون المورثة للانتباه فيما يقال عند اللزوم والانتباه. الاستغاثة الآتية بالنصرة والإغاثة. الاستغفارة المدنية الإنارة. إقامة العراقية. والموائد الإشراقة. ألفية الوفية للسادة الصوفية في التصوف. الإمداد البكري على صلاة البكري. انتظار فتح الفرج واستمطار منح الفرج. بديع موشحات بالبديع مرشحات وغيرها كثير جدا. انظر: البغدادي: هدية العارفين: ٤٤٦/٢، كحالة: معجم المؤلفين: ٢٧١/١٢، الجبرتي: عجـــائب الآثار ١/ ١٦٥، الكتاني: فهرس الفهارس: ١٥٩/١، الزركلي: الأعلام: ١٤١/٨، المرادي: سلك الدرر: ١٩٠/٤.

ومن بغير وصلة يـــــحرك ما نال شيئا وعليه الدرك [(١)]

ومن علامات الشيخ الكامل ملازمته للطريقة فلا يفتر عنها أبد ولا يكون على غير المولى معتمداً ويذاب على المجاهدة ما دام حيا ووقت الممات. وأما إذا اغتر بالأوراق المكتوبات وبوس اليد من بعض الجماعات، وأعجبه حاله. ووضع للناس أقواله وأفعاله. وقالت له نفسه أنت صرت شيخا وخليفة أرح نفسك من هـــذه المجاهدات فإن المجاهدة لأرباب البدايات السالكين على نهج أهل النهايات. وأمـــا الواصـــلون فمـــا عليهم شيء من ذلك لكونهم قطعوا عقبات نفوسهم، وتخلـــصوا من المهالك فصدقها فيما قالت، ومال معها [(٢)] كيف مالت، وصار يتـــرك أوراده ومجاهداته، وصيامه، وقيامه، ويخالط الأكابر والأعيان، والأمراء، والـــوزراء، والسلطان، ويقبل هداياهم من غير أن يقف على حقيقة الحال، ولا يميز بين الحرام، والمشتبه، والحلال. بل بقول الشرع له الظاهر فلا يلزمنى البحث عن حقيقة ذلك فهذا واحد من علامات المهالك بل يسافر إليهم بقصد الطلب، وإذا نالــــه شيء كان لفافا، ولا يبالى من دواعي العَطَب. ثم صار يجالس الخاص والعـــام ويـــتكلم في المجلس العام في اصطلاح الأقوام ثم يسمع الغيبة في مجلسه، وكذلك النميمة مع البهتان، ولا يأمر بمعروف ولا ينهى عن المنكر، بل وافقهم في جميع ذلك في السر والجهر[(٣)]، فهذا ممكور به ولا بد. لكونه قد غلا في مذهب

---

(١) البيتان رقم (٢٣٢، ٢٣٣) من الألفية إلا أن كلمة (بغير وصلة) أتت في الأصل (بدون وصلة).

(٢) منعنا التعليق على موضوع الشيخ الكامل أن المؤلف وعد بأنه سيتكلم في ذلك.بالرغم من ان هذا الموضوع بالذات هو عماد أي طريقة صوفية، لأن الشيخ هو الطبيب المعالج لكل المرضى الذين يذهبون إليه، فهل رأيت عيادة بدون طبيب تصلح ؟ وهل إذا لم يسمع المريض وصف العلاج الذي وصف له من الطبيب ويأخذه ثقة به يشفى ؟ ومع ذلك قد استكملت المخطوط قراءة ولم أقف على زيادة تشفيني في الكلام منه عن الشيخ الكامل. (المحقق)

(٣) وهل مثل هذا يصح شيخا ؟ ! أكرم الله مشايخنا سيدي الشيخ صلاح الدين التجاني، وزاده علما وقربا من ربه، فقد ترك كل شيء لله، وما وجدناه مشغولا بشيء من حطام =

القـــوم، وتجـــاوز الحد، وانتقض عهده من الأشياخ ومن رسول الله وطرد من حضراتهم ومن حاضرة الله، وأخرج من سلسلة القوم الكرام، وباء بغضب من الله فرجع إلى أسفل سافلين أعني النفس الأمارة ؛ فيكون من حزب الشياطين. نسأل الله العافية والمعافاة الشافية، فكيف ينبغي لهذا المغرور أن يترك ما كان السبب في وصوله إلى الله تعالى فما هكذا أحوال أهل الله. وإنما أحوالهم كلما ازدادوا رفعة يـــزدادون رغبة ورهبة، ولا يسمحون لأنفسهم أن يكون فعلهم في يومهم الذي هـــم فـــيه مساويا لفعلهم بالأمس، بل لا بد لهم من الازدياد مع الأنفاس، وأدنى تـــرقيهم في المقامات أن يرقوا في كل يوم وليلة أربعة وعشرين ألف مقام بعدد الأنفـــاس المحصورة، لأن الأنفاس المعتدلة في الإنسان المعتدل المزاج في كل يوم وليلة أربعة وعشرون ألف نفس. ومنهم من يرتقى في كل نفس مقامات، وذلك بحـــسب مـــالهم عند الله درجات ؛ فضلا عن كونهم يرجعون إلى ورائهم بترك أعمالهم التي كانت سببا لوصولهم إلى الله تعالى.

حُكِيَ عن سيد الطائفتين سيدي محمد الجنيد البغدادي[1] حكاية ما معناها

= الدنيا بالرغم من وجودها بين يديه فلم يُشغل بها، ولا حتى بالآخرة، ولم نره منشغلا على الحقيقة إلا برضى مولاه، فقد علمونا أنه لا ينبغي لعبد أن يجاهد ولا ينظر لأي عمل عمله لأنه لله. زادهم الله فضلا كثيرا إنه ولي ذلك والقادر عليه، (المحقق).

(١) (الجنيد) هو: الإمام (أبو القاسم الجنيد): ابن محمد ابن الجنيد الخزاز القواريري. ولد سنة ٢١٥ هـــ ببغداد، وأصله من نهاوند، كان تلميذا للسري السقطي، وهو خاله.كان يقول: " احذروا فراسة المؤمن فإنه يرى بنور الله، ثم قرأ قوله تعالى: " **إن في ذلك لآيات للمتوسمين** " (آية (٧٥) من سورة الحجر فقال للمتفرسين. ترك الجنيد عددا من الرسائل طبعت قديما، وأقواله مشهورة ومنتشرة في بطون الكتب الصوفية حتى لا يكاد يخلو منها كتاب. توفي الجنيد (رحمه الله) سنة ٢٩٧ هـــ وهو مقبول على جميع الألسنة.

انظر ترجمته في: السلمي طبقات الصوفية ص ١٥٥، الدكتور جمال سيدبي: رسائل الجنيد.

=

حين حضرته الوفاة كان يتلو ورده فقال له بعض أصحابه: يا سيدي لقد وصلت إليه سبحانه وتعالى، فخفف عنك، وأرح نفسك.

فقـــال: يا هذا. شيء وصلنا به إلى الله تعالى، فلا ينبغي لنا تركه إلى حين نلقى الله سبحانه وتعالى به.

وقال الله تعالى لأشرف مخلوقاته محمد (صلى الله عليه وسلم): ﴿ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴿٩٩﴾ ﴾ (الحجر/٩٩) أي: الموت.

وقال عيسى (عليه الصلاة والسلام) حاكيا عن ربه: ﴿ وَأَوْصَـٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴾ (مريم/٣١). فإذا كان هذا في حق هؤلاء الأنبياء الكرام (عليهم الصلاة والسلام) فما حالي وحالك يا مسكين تب إلى الله تعالى مما أنت فيه، وارجع إلى الله بالخدمة والطاعة مع الأدب التام فلعل الله سبحانه وتعالى أن يقبلك ويدخلك في سلك أحبابه المقربين.

ومن علاماته أن يكون ملازما لكل ما يأمر به المريد لكي يقتدي بأقواله، وأفعاله، وأحواله. فهذا هو الشيخ الناضج فإذا أمر المريد بالصوم فيكون صائما، وإن أمـــره بالجـــوع فيكون جائعا، وإن أمره بقيام الليل فيكون قائما، وإن أمره بالعـــزلة فـــيكون معزولا، إلا في وقت الانتفاع به ؛كالذكر، والتربية، وما أشبه ذلك. وإن أمره بالصمت فيكون صامتا، وإن أمره بالذكر فيكون ذاكرا، وإن أمره بالورع عن الحرام والمشتبه فيكون ورعا، وإن أمره بالزهد فيما في يده من المباح فـــيكون زاهدا، وإ ن أمره بالحلم فيكون حليما، وإن أمره بالعفة فيكون عفيفًا،

سزكين: تاريخ التراث العربي ١/٤/١٣١ الجامي: نفحات الأنس ١/٢٦٦، أبو نعيم: حلية الأولياء ١٠/٢٥٥، المناوي: الكواكب الدرية ١/ ٣٧٦، ابن كثير: البداية والنهاية: ١١/ ١١٣ البغدادي: هدية العارفين ١/٢٥٨، بروكلمان: تاريخ الأدب العربي ٢/٤٥٨ الترجمة العربية، كحالة: معجم المؤلفين: ٣/١٦٢، الدكتورة سعاد الحكيم: رسائل الجنيد أيضا.

وأن أمـــره بغـــض البصر عما لا يرضى الله فيكون غاضا، وإن أمره بالفرار من الأكابر، والأعيان، والأمراء، والسلطان فيكون منهم فاراً، وإن أمره برد هداياهم إذا لم تكن من حلال فيكون لها راداً، وإن أمره بالمراقبة فيكون لا بد مراقبا، وإن أمـــره بالمحاسبة على نفسه من الكبائر والصغا ئر والخواطر فيكون لنفسه محاسبا، وإن زجره عن الغيبة والنميمة ؛ فيكون لنفسه زاجرا، وإن أمره بالتواضع فيكون متواضعا وإن نهاه عن حب الرياسة والشهرة فيكون لنفسه ناهيا، وإن أمره بترك الـــشهوات فـــيكون لها تاركا، وإن أمره بالعفو عمن ظلمه فيكون منصفا بذلك ومسامحا، وإن أمره بحسن الخلق والرحمة والرأفة على خلق الله فيكون رؤوفا بهم وراحما. وعلى هذا فقس سائر الأوصاف(١).

وأمـــا الـــشيخ إذا أمر المريد بشيء وفعل هو بخلاف ذلك فلا يقتدي به لكـــونه لا يصلح للتربية ولا يؤخذ عند الطريق ولا هو من هذا الفريق وإنما هو غـــشاش ولحب الريـــاسة رشاش قال (صلى الله عليه وسلم): **(من غشنا ليس مـــنا)**(٢) وإلى ذلك أشار القطب الحقيقي سيدي مصطفى البكري الصديقي في

---

(١) أي هذا حال القدوة قبل أن يأمر يكون هو منفذا لما يأمر به المريدين. وبالرغم من أن هذا النوع من التربية بالاصطلاح قد انتهى زمنه إلا أننا بالفعل نجد شيخنا —والحمد لله تعالى— نعم القدوة لنا في كل هذا، وأكثر منه زاده الله تعالى بسطة في العلم والجسم.

(٢) حديث: (من غشنا فليس منا): رواه مسلم عن أبي هريرة رفعه وفيه ومن حمل علينا السلاح فليس منا، وعنده أيضا عنه مرفوعا من غش فليس مني قاله حين مر على صبرة من طعام وأدخل يده فيها فنالت أصابعه بللا فقال: ما هذا يا صاحب الطعام ؟ قال أصابه السماء يا رسول الله. قال: جعلته فوق الطعام حتى يراه الناس. فذكره، ورواه ابن عنبسة عن العلاء بلفظ " ليس منا من غش" .

وللعسكري عن أبي هريرة بلفظ الترجمة وزاد قيل: يا رسول الله ما معنى قولك ليس منا؟ فقال: ليس مثلنا. وفي الباب عن أنس وبريدة وحذيفة وابن عباس وابن عمر وابن مسعود وعلي وغيرهم. ولفظ حديث علي عند العسكري: ليس منا من غش مسلما أو ضاره أو ماكره. ولفظ حديث ابن عمر عند القضاعي: يا أيها الناس لا غش بين المسلمين من غش فليس منا. ولفظ حديث أنس عند الدارقطني في الأفراد بسند

ألفيته بقوله:

فإنه لم يدر، ومن فعل قد * غش، والغشاش بالنار اشتعل

ومثله أولاد الأشياخ، إذا لم يسلكوا الطريق في حياة آبائهم أو بعدهم إلى أن يبلغوا رتبة الكمال ويؤذن لهم في الإرشاد فلا يؤخذ عنهم الطريق إلا للتبرك فقط فقد ظهر لنا أن الأشياخ الذين لم تكمل فيهم هذه الأوصاف إذا تصدروا للمشيخة والإرشاد فهم غشاشون وداخلون في وعيد الحديث المارِّ آنفا ولا بد للشيخ أن يعرف عقبات الطريق وأهواله، وقبضه، وبسطه، وجلاله، وجماله، وكماله، وسكره وصحوه، وسحقه، ومحقه، وطمسه، واصطلامه، وجمعه، وفرقه، وفناءه، وبقاءه وتلوينه، وتمكينه، وإخلاصه، ورياءهُ. ويميز بين تجلى الشيطان، والنفس، والروح من تجلى الله تعالى بأفعاله وأسمائه وصفاته وذاته ويعرف دسائس النفس والشيطان وإغوائه إلى غير ذلك من اصطلاحات الأقوام لكى يعرف أمراض القلوب ودواءها ويعرف المريد في أي مقام وتكون معرفته لجميع ذلك من طريق الذوق والحال لا من باب الفهم والقال وإذا وجد المريد من توفرت فيه هذه الشروط فيأخذ عنه فإنه الغاية والمراد بل هو الأكسيد الأكبر الذي يقلب جميع الأجساد فخذ عنه ولا تبالي بالأشياخ الناقصين مع حياتهم ووجودهم بل ولو كانوا حاضرين لكون وجودهم كالعدم بل من تمسك فيهم زل فيه القدم لكونهم تهلكة للمريدين فيهلكون من تمسك بهم ولا بد لكونهم من أخوان الشياطين وأما من أخذ عنهم بقصد التبرك فلا باس بذلك وإنما قولنا فى حق من يريد السلوك إلى ملك الملوك فإذا ماتوا هؤلاء الأشياخ وأخذ المريد عن غيرهم فمن باب أولى بل ويجب على الأشياخ المتقدمين في الذكر أن لا يداخلهم الحسد ويرضوا عن مريدهم بسبب الأخذ عن الشيخ الكامل بل يحثوه على ذلك بل ويبتدئوا بالأخذ عن الأستاذ قبل مريدهم ولا يقولون هذا قادري،

=

ضعيف: من غش أمتي فعليه لعنة الله.انظر: العجلوني: كشف الخفاء:٢/١٥٤٤ الحديث رقم (٢٥٤٧).

أو هذا رفاعي، أو أحمدى، أو دسوقي، أو نقشبندي، أو خلوتي إلى غير ذلك من جميع الطرق فكيف نأخذ عنه وطريقه غير طريقنا أو تستنكف نفوسهم الأخذ عنه لكونهم أشياخًا فما هذا إلا من جهالة قامت بهم، ومن عمارة قلوبهم، ومن استيلاء الغفلة عليهم، ومن انقيادهم لأوامر النفس والهوى والشيطـــان الملـــعون ﴿ ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَـٰنِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَـٰنِ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ ﴾ (المجادلة/١٩) لأن الطريق واحد هو معرفة الله سبحانه وتعالى على الكشف والشهود واليقين الكامل بعد كشف الغطاء وطرح القيود وملازمة باب الوصيد ورفض باب التشكيك والترديد وهذا حاصل على يد كل شيخ كملت فيه الأوصاف كما عرفت فليس بين أهل الله خلاف ولا عبرة بكونه قادريا أو رفاعيا، أو أحمديا، أو دسوقيا، أو نقشبديا، أو خلوتيا، أو غير ذلك. فإن الطرق وإن تعددت فهي راجعة لطريق واحد وهو معرفة الله تعالى بحق اليقين فهذا محط رحال الطالبين وإلى ذلك أشار سيدي السيد مصطفى البكري الصديقي (قدس الله سره) وأعاد علينا وعلى المسلمين نفعه وبره في ألفتية حيث قال:

الطرق شتى والطريق واحد * إلى المنى يسلك فيها الواجد[1]

فعلى هذا من فرق بينهم يخشى عليه من الطرد عن حضراتهم ومن طرد من حضراتهم طرد من حضرة الله ورسوله لأن الأشياخ كالدر المنظوم في السلك الواحد، ورئيسهم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فهم نوّابه وهو نائب الحضرة الإلهية فمن فرق بينهم فهو بمنزلة من آمن ببعض الكتاب وكفر ببعض وكمن آمن ببعض الأنبياء وكفر ببعض فإن أحببت الجميع أحبك الجميع إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ومن أحبه رسول الله أحبه الله تعالى، ومن أحبه الله تعالى فهو من المقربين ومن المحبين والمحبوبين[2] قال الله تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ

---

(١) أي الذي يجد هذا الطريق فيكون من عناية الله تعالى به.

(٢) المحب والمحبوب: درجة من مراتب المقربين، ولعله يقصد هنا أن الجملة تفسيرية.

فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾ (آل عمران /٣١) وإن أبغضت واحداً منهم أبغضك الجميع إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لكونهم نوابه وكالأعضاء له وهو رأسهم، فمن أعاب على عضو واحد من الجسد فقد أعاب الجسد كله من القدم للرأس، وقد عرفت أن رأسهم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فإن أعبت على واحد منهم سرى العيب إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فماذا يكون حالك يا مسكين غير أن تكون من الهالكين ؛ فتب إلى الله تعالى من التفرقة والحب لفرقة والبغض لأخرى، وكن محبهم جميعا ومتى منَّ الله عليك بشيخ كامل كائنا من كان فخذ عنه الطريق ولا تسأل عن طريقته لأن الشيخ الكامل إذا أنفرد في الكون بأسره للتربية يكفيه لأن المقصود من الأخذ والتربية الوصول إلى الله تعالى، وهذا حاصل من كل شيخ كامل وإن راودتك نفسك في عدم الأخذ عنه فازجرها وأقهرها على ذلك، وإن لم تفعل ولم تدارك نفسك بالتوبة والإنابة وتأخذ عنه الطريق وتنقاد إليه انتقض عهدك من الأشياخ وأخرجوك من سلكهم فتكون من الخاسرين، وكذلك الأشياخ الذين لم تتوفر فيهم شروط الكمال، إذا وجدوا من هو أكمل منهم ولم يأخذوا عنه ويقولون نحن أشياخ مسلكون في الطريق. وهذا شيخ مثلنا فكيف نأخذ عنه أو طريقه غير طريقنا فليتوبوا إلى الله تعالى لئلا ينتقض عهدهم وينبذوهم أشياخه وراء ظهورهم هذا في حق المريدين السالكين في الطريق الذين لم تكمل تربيتهم وفى حق الأشياخ الكُمَّل إذا وجدوا أكمل منهم فكيف بالمريدين الذين لا يعرفون التربية ولا التلقين ولا سلكوا الطريق ولا عرفوا كيفية السلوك فيه بل ولا وضعوا لهم قدما في الطريق. فمن باب أولى لأن مثال المريد في تربيته كالطفل في رضاعته، فإذا تكمل مدة رضاع الطفل ولم يقدر يتغذى بالطعام وماتت أمُّه وهو على هذه الحالة فيرضعونه من أي امرأة وجدوها، وما المقصود من رضاعته إلا نتاجه. فإذا فطموه والحالة هذه يموت حتى ولو كان من أبناء الملوك والأمراء والأكابر والوزراء. إذا ما وجد من يرضعه إلا الجوار يرضعونه منهن، وهكذا حالة المريد إذا مات شيخه قبل نتاجه وكمال تربيته إذا لم يأخذ من شيخ آخر، وآخر، وآخر، وهلُمَّ جر، حتى يجد

شيخا كاملا يكمل على يده بأن يبلغه إلى مقام الخلافة الكبرى التي هي عين الحقيقة ويعرف مسالك الطريقة لا الخلافة الصغرى التي يدعو صاحبه إلى ظاهر الشريعة ولا يقدر أن يدعو إلى عين الحقيقة فما دام المريد ناقصا عن مرتبة الكمال ولم يجد شيخا يكمل. فليأخذ عن أشياخ كثيرة إلى ألف فأكثر. وأما إذا وجد شيخا كاملا فيلزمه ولا يأخذ عن غيره أبدا حتى يكمل تربيته، ويأذن له في الخلافة الكبرى كما تقدم فيجوز له الأخذ عن أي شيخ كان سواء كان أعلا منه أو مساويا له أو أدنى منه لأنه لا يكون شيخا كاملا حتي يأخذ عمن هو أعلا منه وعمن هو مساوٍ له، أو عمن هو أدنى منه. وفي ذلك إشارة إلى أنه قد ملك نفسه، ومن ملك نفسه قادر على أن يملك الغير وإلا فلا، لأن من لم يملك نفسه، ويقهرها فنفس غيره من باب أولى.

وأمـــا الجوع: فلأنه يعين على النفس، وهو أكبر الشروط فلا يملك المريد نفسه إلابه لأن الله سبحانه وتعالى عذب النفس بأصناف العذاب كذا كذا أعواما، وما أقرت بالعبودية إلا بالجوع فالجوع ينبوع وفيه الخير مجموع.

وأما السهر: فلأن الليل خلوة الأحباب، ومحل خمود البشرية والاقتراب ؛ فمـــن يدعـــى المحبة وينام الليل فهو كاذب في المحبة ولا ذاق من ثمرة الحب حبَّة. فالمحـــب يقلقـــه الوجد والشوق إلى لقاء محبوبه ومن تحقق بذلك توصل إلى نيل مطلوبه.

وأما الصمت: فهو على قسمين وكل قسم ينقسم إلى قسمين:

فـــصمت بالقلب، وصمت باللسان. فمن صمت قلبه تفجرت منه ينابيع الحكمـــة على لسانه، ومن صمت لسانه ولم يصمت قلبه لم تكتب عليه خطيئة، هـــذا في الـــبداية للمريدين. وأما في النهاية للمريدين يصمت قلبه عن الأغيار، ولسانه يترجم بالمعارف والأسرار، ويصمت لسانه عن السوى، وقلبه وجنانه في المناجاة للواحد القهار.

وأما الذكر: فلأنه مجلاة لمرآة القلوب، ومحو الصدأ عنها من ران الذنوب، وســـلاح الطالـــبين يـــرهب به الأعادي من الهوى، والنفس، والشيطان، ومن

الصادي والبادي ومرضاة للموجود الواحد المعبود.

وأما الفكر: فلأنه يفتق الأذهان ويوصل الطالب إلى مشاهدة الملك الديان في كل ذرة من الأكوان في كل زمان ومكان، ومن وصل إلى هذا الشأن فلا يحظر العذاب بالنيران ولا دخول الجنان. وكيفية الفكر يا أخا العرفان أن تتفكر في مصنوعات مكون الأكوان كخلق السموات السبع وما فيها من الكواكب والأفلاك وما فوقها من العرش والكرسي والأفلاك. وفى الجنة وما أعد لأهلها من النعيم المقيم. وفى النار وما أعد لأهلها من العذاب الأليم. وفى الأراضين السبع وما فيها من الجبال والأوعار والأحجار والأشجار والبحار والأنهار والعيون والآبار والزروع والأثمار والوحوش والأطيار والأبرار والفجار. وما أشبه ذلك مما تخيله الأفكار فالتفكر في ذلك لحظة خير من عبادة سبعين سنة[1] ممن يقوم الليل ويصوم النهار ويتهجد في الأسحار.

وأما العزلة والخلوة: فمن أعظم المهمات للمريدين فينتج منها الإستيحاش من الخلق، والأنس برب العالمين. وأما المرادين فهم بالخيار بل هم مع التجلي حينما دار.

---

(١) ورد في هذا الموضوع، وهو التفكر كثير من الأحاديث منها ما أورده الإمام العجلوني في كشف الخفاء وفيه: (تفكُر ساعة خير من عبادة سنة) وفي لفظ ستين سنة ذكره الفاكهاني بلفظ: (فكرة ساعة) وقال: إنه من كلام سري السقطي، وفي لفظ ستين سنة. وذكره في الجامع الصغير بلفظ (فكرة ساعة خير من عبادة ستين سنة) وورد عن ابن عباس وأبي الدرداء بلفظ: (فكرة ساعة خير من عبادة ستين سنة) وقال النجم: إن العراقي قال: في جزء له روينا من حديث عبد الله بن سلام أنه صلى الله عليه وسلم خرج على قوم ذات يوم وهم يتفكرون فقال ما لكم تتفكرون ؟ فقالوا نتفكر في خلق الله عز وجل قال فكذلك فافعلوا تفكروا في خلقه ولا تتفكروا فيه فإن لهذا المغرب أرضا بيضاء نورها بياضها أو بياضها نورها مسيرة الشمس أربعين يوما بها خلق من خلق الله لم يعصوا طرفة عين قالوا يا رسول الله فأين الشيطان عنهم ؟ قال ما يدرون خلق الشيطان أم لا قالوا من ولد آدم هم ؟ قال لا يدرون خلق آدم أم لا).انظر: العجلوني: كشف الخفاء ٣٦٩/٢ الحديث رقم (١٠٠٤).

وأمـــا كيفـــية الذكر: وهو أن يكون بالاسم الذى تلقنه من الأستاذ فلا يلـــتفت عـــنه لغيره لأنه المهام، ولا يكون له غيره من الأسماء صالح للحصن، والمـــلاذ لأن مـــن الشروط اللازمة على المريد أن يلازم الاسم الذى تلقنه من الأســـتاذ وعنه لغيره لا يحيد، ومن فعل بضد ذلك وقع من رأس الدرع وانحل عزمه وانفلج، وكلما قطع اسما يلقنه الأستاذ اسما على التدريج.

وأما إذا حصل الإذن الإلهى بتلقين الأسماء دفعة واحدة لمن يختاره الله تعالى فيلقنه الأستاذ دفعة واحدة كما أمر ولا بأس بذلك يكون الأستاذ نائب رسول الله (صلى الله عليه وسلم). وهو الواسطة بينه وبين الله سبحانه وتعالى، وهو نائب الحضرة الإلهية لا يفعل شيئا سُدى بل بإذن من الله سبحانه وتعالى هذا في طريق ساداتنا الخلوتية قدس الله أسرارهم وأعلا في الخافقين منارهم ونفعنا بعلومهم وأسرارهم وفهومهم. وأما غيرهم من الأساتذة أعاد الله علينا من بركاتهم ونفحنا نفحة من نفحاتهم فيقولون علينا التلقين وعلى الله الهداية فلا ينتظرون الأذن ﴿ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا ﴾ (البقرة /١٤٨).

﴿ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ﴾ (البقرة /٦٠).

ولقـــد شاهدنا الأستاذ الأعظم والملاذ الأفخم، قطب زمانه فريد عصره، ووحـــيد أوانه أستاذنا الشيخ محمود الكردي[1] قدس الله سره وأعاد علينا وعلى

---

(١) سيدي محمود الكردي: محمود الكوراني (١١٩٥ هـ = ١٧٨١ م) محمود بن محمد بن يزيد الكوراني الكردي الخلوتى: متصوف، ومشهور البركة يعتقده الخاص والعام كثير الرؤية لرسول الله (صلى الله عليه وسلم) ومن كراماته أنه متى اراد رؤية النبي (صلى الله عليه وسلم) رآه. وله مكاشفات عجيبة نفعنا الله بحبه ولا حجبنا عن قربه وهو الذي قام للإرشاد والتسليك بعد انتقال شيخه وسلك على يده كثير وخلفوه من بعده منهم خاتم الأولياء القطب الكبير سيدي أحمد التجاني صاحب الطريقة التجانية الكبرى. سكن القاهرة، وتوفى بها. كان يقول إن مولده في (صفاقص) من بلاد (كوران). له مؤلفات منها: نصيحة الأحباب،ورسالة في الحكم والمواعظ، ومثلها (السلوك لأبناء الملوك) في نحو ستة كراريس، تناقلها الناس في أيامه، وقرظها بعض الشعراء. انظر: الزر =

المسلمين بره لقن الأسماء السبعة لأناس كثيرة دفعة واحدة، وذلك من بعد الإذن الـــصريح والفقير الحقير منهم، وقد وقع لي ذلك غير مرة لقنت الأسماء السبعة دفعة واحدة لمن أذن الله له بذلك بالأذن الصريح لا بالإشارة والتلويح.

ثم اعلـــم أن الأنفس سبعة، وهى باعتبار ذاتها واحدة، وهى الناطقة.

وأما تعددها فباعتبار صفاتها، وتقلبها من حال إلى حال.

فإن كانت في المرتبة الأولى فتسمى أمارة.

وإن كانت فى المرتبة الثانية فتسمى لوامة.

وإن كانت في المرتبة الثالثة فتسمى ملهمة.

وهكذا إلى آخر المراتب ففي المرتبة السابقة تسمى كاملة.ثم جعلوا لها من الأسماء سبعة لكل نفس اسم من أسماء الله الحسنى يحرق صفاتها الذميمة ويحليها بالأوصـــاف الحمـــيدة. فـــإذا داوم المريد على الذكر بالأسماء المخصوصة بها بالـــشروط المـــتقدمة والآداب الآتـــية فتحرق صفاتها النميمة ويخرق حجبها الظلمانية والنورانية فيرى الأشياء على ما هي عليه أصلا وحقيقة لا فرعًا ومجازا لأن المانـــع من ذلك وجود هذه الحجب التي هي من ظلمات الذنوب لأن لكل نفـــس ضـــرب عشرة من الحجب من عشرة في سبعة فتكون سبعين حجابا[1]،

كلي: الأعلام: وانظر كحالة: معجم المؤلفين:١٢/١٦٤، والجبرتي في عجائب الآثار: ٢/٦١ -٦٨).

(١) لحديث الرسول (صلى الله عليه وسلم): حديث: (إن لله سبعين ألف حجاب من نور وظلمة) عن أنس رضي الله عنه عن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: (سألت جبريل هل ترى ربك ؟ قال: إن بيني وبينه سبعين حجابا من نور لو رأيت أدناها لاحترقت) رواه الطبراني في الأوسط وفيه قائد الأعمش، قال أبو داود: عنده أحاديث موضوعة. وذكره ابن حبان في الثقات وقال يهم وعن عبد الله بن عمرو، وسهل بن سعد، رضي الله عنهما، قالا: قال رسول الله: (صلى الله عليه وسلم): (دون الله سبعون ألف حجاب من نور وظلمة ما تسمع نفس شيئا من حس تلك الحجب إلا زهقت نفسها.) رواه: أبو يعلى، والطبراني في الكبير عن عبد الله بن عمرو، وسهل أيضا وفيه موسى بن عبيدة لا يحتج به، وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلا أتى النبي صلى

وحجب النفس الأمارة ظلمانية، وباقي الأنفس حجبها نورانية.

فالظلمانية: هي التي لا يرى ظاهرها من باطنها، وبالعكس.

والنورانية: هي التي يرى ظاهرها من باطنها، وبالعكس.

وكل حجاب من حجب هذه الأنفس. الأول أكثف من الثاني، والثاني أكثف من الثالث، وهكذا إلى العاشر. فالتاسع أكثف من العاشر[1]. ومتى خُرِقت لك هذه الحجب وصلت إلى الله تعالى، وصِرت من عبيد الاختصاص، وتميزت عن عبيد الانتقاص ؛ فتكون ممن قيل فيهم في محكم القرآن: ﴿ إِنَّ عِبَادِي

الله عليه وسلم فقال يا محمد هل احتجب الله عز وجل عن خلقه السموات والأرض قال: نعم بينه وبين الملائكة الذين حول العرش سبعون حجابا من نور، وسبعون حجابا من نار، وسبعون حجابا من ظلمة، وسبعون حجابا من رفارف الإستبرق، وسبعون حجابا من رفارف السندس، وسبعون حجابا من در أبيض وسبعون حجابا من در أحمر، وسبعون حجابا من در أصفر، وسبعون حجابا من در أخضر وسبعون حجابا من ضياء استضاءها من ضوء النار والنور، وسبعون حجابا من ثلج، وسبعون حجابا من ماء، وسبعون حجابا من غمام، وسبعون حجابا من برد، وسبعون حجابا من عظمة الله التي لا توصف. قال فأخبرني عن ملك الله الذي يليه قال النبي صلى الله عليه وسلم: أصدقت فيما أخبرتك يا زفر قال نعم قال: فإن الملك الذي يليه إسرافيل ثم جبريل ثم ميكائيل ثم ملك الموت صلى الله عليهم أجمعين. رواه الطبراني في الأوسط وفيه عبد المنعم بن إدريس كذبه أحمد وقال ابن حبان كان يضع الحديث.

انظر: ابن حجر الهيثمي في مجمع الزوائد: ١ /٨٠،٧٩.

وانظر معجم أبي يعلى: ١ /٩٠، وانظر أيضا مسند الروياني: ٢/ ٢١٢.

والطبراني في معجمه الكبير ٦ / ١٤٨.

والسنة: لابن أبي عاصم: وقال: إسناده ضعيف: ٢ / ٣٦٧.

وانظر الفردوس بمأثور الخطاب ٢/ ٢٢١ /(٣٠٧٤).

(١) كنت قد حققت كتاب (السير والسلوك إلى ملك الملوك) من تأليف قاسم بن صلاح الدين الخاني، وأورد حديثا طويلا رائقا لتقسيمات النفس وتفاصيل كثيرة تظهر أهمية هذا الموضوع. انظر هذا الكتاب في طبعة مكتبة الثقافة الدينية.

لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ ﴾ (الحجر/٤٢) بل إن دمت على ما أنت عليه من المجاهدة، إن سبقت لك العناية فتصير على الكل كالسلطان. ولا تظن يا أخي أن هذه الحجب بالنسبة للخالق ؛ لا بل نسبتها للمخلوق، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرًا. فالخالق لايحجبه شيء، إذ هو مُطّلع على حقائق الأشياء وعلى ظاهرها، وباطنها، ورقائقها، ودقائقها، ولا يحجبه الامتزاج فيرى الظلمة في الظلمة، ويرى النور في النور، والماء في الماء. ولا تظن أيضًا أن هذه الحجب حسية بل هي معنوية ولا الوصول إلى الله تعالى وصولا حسيًا بل هو معنوي لأن الله تعالى لا يوصف بقرب، ولا ببعد، ولا بجة، ولا بزمان، ولا بمكان، ولا بآن. فهو خالق القرب والبعد، والجهات، والزمان والمكان، والأوان فهذه كلها أكوان وهو محيط بها وبسائر الأكوان.

وقوله تعالى: ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ﴾ (الحديد /٤) بالعلم، والإحاطة، والغلبة، والقهر، أو بالكلاءة[1]، والحفظ، والنصر. ثم لا بد أن أذكر لك دوائر النفوس السبعة، وأوصافها الذميمة والحميدة:

أما الدائرة الأولى: الأمّـــــارة

فلها الصفات السبع التي هي أمهات جميع الأخلاق الصحيحة.

---

(١) (الكلاءة): كَلأَهُ الله (يَكلَؤُه) مهموز بفتحتين، (كِلاَءَةً) بالكسر و المدّ حفظه و يجوز التخفيف فيقال (كَلَيْتُهُ) (أكلاهُ) و (كَلِيتُهُ) (أَكْلاهُ) من باب تعب لغة لقريش لكنهم قالوا (مَكْلُوٌّ) بالواو أكثر من (مَكْلِيٌّ) بالياء و (اكتلأت) منه احترست و (كَلأَ) الدين (يَكْلأُ) مهموز بفتحتين (كُلوءا) تأخر فهو (كَالِئ) بالهمز وَيَجُوزُ تَخفِيفُهُ فَيصِيرُ مِثْلَ القَاضِي وقال الأصمعي هو مثل القاضي ولا يجوز همزه، ونهي عن بيع (الكَالِيء) (بالكَالِيء) أي بيع النسيئة بالنسيئة قال أبو عبيد صورته أن يسلم الرجل الدراهم في طعام إلى أجل فإذا حلّ الأجل يقول الذي عليه الطعام ليس عندي طعام ولكن يعني إياه إلى أجل فهذه نسيئة انقلبت إلى نسيئة فلو قبض الطعام ثم باعه منه أو من غيره لم يكن (كالئا بكالئ) ويتعدى بالهمزة و التضعيف و (الكلأُ) مهموز العشب رطبا كان أو يابسا قاله ابن فارس وغيره و الجمع (أكْلاءٌ) مثل سبب و أسباب وموضع (كَالِيءٌ) و(مُكلِيءٌ) فيه الكلأ، والكلاءة هنا تعني الحماية والرعاية. انظر المصباح المنير: ٢/٥٤٠.

وهي: الكبر، والبخل، والحرص، والحسد، والشهوة، والحقد، والغضب.

وأما الدائرة الثانية: فسُمِّيت لوامة

ولها من الصفات السبع المذمومة: وهى العشرة، والعجب، واللهو، واللوم، والتمنى، والمكر، والقهر.

وأما الدائرة الثالثة: فسُمِّيت بالمُــلهمة

لأن الله ســبحانه وتعالى ألهمها فجورها وتقواها. أي علّمها، وألهمها ما يــنفعها، ومــا يــضرها، ولها سبع صفات محمودة وهى: العلــم، والتواضع، والتحمل، والسخاء، والاستفاضة، والقناعة، والصبر.

وأما الدائرة الرابعة:فسُمِّيت بالمطمئنة

ولهــا ســبع صــفات كريمة وهى: الإيثار، والورع، والزهد، والشكر، والتوكل، والعبادة، والتذلل.

وأما الدائرة الخامسة: فسُمِّيت بالراضية

ولهــا ســبع صفات شريفة وهى: الذكر، والإخلاص، واليقين، والرضى، والرياضة، والكرامة، والوفاء.

وأما الدائرة السادسة: فسُمِّيت بالمَرضية

ولها سبع صفات عالية وهى: فناء البشرية، والتخلق بأخلاق الله، والتفكر فى الحضرات الإلهية، والتنوير بنور الله، والتقرب إلى الله، والرحمة على خلق الله.

وأما الدائرة السابعة: فسميت بالكاملة

ولها سبع صفات كروبية وهى: الكشف، والمشاهدة، والمحاضرة، والمعاينة، والمحاذاة، والخلافة، والإضافة[1].

ثم بعد ذكر الدوائر السبع أردت أن أشرح كل نفس، وأبين كيفية التخلص مــنها والترقي عنها إلى ما فوقها، وأعقد لكل نفس منها فصلاً حتى تكون على بصيرة من نفسك وتعرفها فى أي مقام هي.

(١) والصفحات القادمة فيها تفاصيل أكثر لهذا الموضوع.

الفصل الأول
في
النفس الأمَّارة

وهى المذكورة فى الكتاب العزيز بقوله تعالى حاكيا على لسان سيدنا يوسف عليه الصلاة والسلام: ﴿ ۞ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ ﴾ (يوسف/٥٣).

وأوصافها تقدمت آنفا عند ذكر مراتب النفوس.

وإنما سميت أمارة لكونها لا تأمر صاحبها إلا بالسوء ولا تفعل الخير إلا مكرهة عليه.

ومحل هذه النفس: الصدر.

وحالها: الميل إلى الهوى.

وعالمها: عالم الشهادة.

وواردُها: الشريعة.

وسيرها: إلى الله تعالى.

وما يختص بتزكيتها من الأسماء الحسنى: (لا إله إلا الله).

ونورها: أزرق فإذا اشتغل صاحب هذه النفس الأمارة بذكر هذه الكلمة الطيبة تزول عنه الصفات الحيوانية، ويتطهر من القاذورات البشرية، وترفع عنه الحجب المانعة عن الوصول إلى الله تعالى.

ولا بد أن أشرح كيفية الذكر وآدابه وهي: أن يجلس الذاكربطهارة كاملة ظاهراً وباطناً فى مكان طاهر، قاعداً على ركبتيه مستقبل القبلة، واضعا يديه على فخذيه، مغمضا عينيه ثم يستحضر صورة شيخه، ويستمد منه قلبا أو لسانا، أو هما معا ويعتقد أن استمداده من شيخه استمداد من حضرة صاحب الرسالة (صلى الله عليه وسلم) لأن الشيخ نائبه. ويخيل خيال شيخه بين عينيه، ثم يُطأطئ رأسه إلى سُرَّته ويأخذ " لا إله " منها، ثم يأخذ "إلا الله " فى حالة الاستواء، ويجرها إلى منكبه الأيمن ويضرب بها على فم القلب اللحمي تحت الثدي الأيسر، ويمد رأسه عند ذلك يمينا وشمالا، ويهز جسده حتى يتحرك كل عضو منه ليأخذ كل جزء

منه حصة من الذكر ويكون كل ذلك لكم بالحضور التام مع المذكور بلا غفلة. لأن الذكر هو التخلص عن الغفلة، ولا يلحن في حروف هذه الكلمة الطيبة، بل يخرج حروفها من مخارجها، وأن يرفع صوته عند الذكر ؛ لتنقلع عن قلبه الخواطر الرسمية ؛ لأن رفع الصوت يعطل الحواس والقوى عن أحكامها، وأن يلاحظ فى حالـة النفي نفى ألوهية كل شيء، وفى الإشارات إثبات ألوهيته سبحانه وتعالى وأن يحفظ قلبه من دخول الخواطر، لتزداد جمعيته، وتتوسع حقيقة قلبه ؛ حتى لا تـزاحمه بعد ذلك الخواطر فتحصل له حقيقة التوحيد. لأن التوحيد الصحيح لا يحصل إلا بعد انتفاء الخواطر والأفكار.

وينبغـي كلمـا كرر هذه الكلمة الطيبة أن يترقى فى الحضور بالمذكور، والـتخلص عـن شهود الذكر، ولقد أدركنا في ذلك ذوقا من فضل الله سبحانه وتعـالى، وهو لنا حال لا ينفك، فهذا مقام ياله من مقام ! فأين من شاهد ذلك ذوقا، وكشفا، وحالا ؟!

وأين من لم يذقه ولم يعرف كيفيته بل يعرف ذلك اعتقادا أو قالا ؟!

وأيـن مـن سمع بأوصاف الجنة ولم يرها ولم يعرف داخلها ؟! وأين من دخلـها ورأى قـصورها، وحورها، وغلمانها، وأنهارها، وأشجارها، وأثمارها، وأطـيارها، وحُلَلِهـا إلى غـير ذلك ؟ وتنعَّم فى هذا جميعه، وتخلص من جميع المهالـك، فشتان بين معتقد وذائق وبين من شرب الشراب المعكر، ومن شرب الـشراب الرائق وبين من لفق من ظاهر كلام الغير وبين من فاته الحقايق. وإلى ذلك أشار سيدي الشيخ عبد الغني النابلسي[1] قدس الله سره بقوله: (كل من ذاق

---

(١) الشيخ عبد الغني النابلسي: عبد الغني النابلسي (١٠٥٠ - ١١٤٣ هـ) (١٦٤١ - ١٧٣١ م) عبد الغني بن إسماعيل بن عبد الغني بن إسماعيل بن احمد بن إبراهيم الدمشقي، الصالحي، الحنفي، النقشبندى، القادري، المعروف بالنابلسي. عالم، أديب، ناثر، ناظم، صوفي، مشارك في أنواع من العلوم. ولد بدمشق في ٥ ذي الحجة، ورحل إلى بغداد، وعاد إلى سورية، فتنقل في فلسطين ولبنان، وسافر إلى مصر والحجاز، واستقر بدمشق إلى أن توفي في ٢٤ شعبان. من تصانيفه الكثيرة: الحقيقة والمجاز في رحلة =

عرف، وقد تهنى بالحضور).

فـــإن أردت يا أخي أن تكون من أهل هذا الشأن فلازم الذكر بالشروط، والآداب والأركان فتدخل جنة الأمان، وتكون من أهل العرفان، ويتضح لك من الأحاديث والقرآن، وتأخذ العلم اللدني عن الملك الديان فلا تحتاج بعد ذلك إلى كتب لأجل إرشاد الأخوان، وإنما كتابك قلبك والشريعة ميزان.

وينبغـــي لك بعد أن تقول: لا إله إلا الله، وتداها بحسب الطاقة ثم تقول

-

بلاد الشام ومصر والحجاز، الدواوين الثلاثة: ديوان الإلهيات، ديوان الغزليات وديوان المدايح والمراسلات، جواهر النصوص في حل كلمات الفصوص لابن عربي، مجموعة فتاوى في الفقه الحنفي، وتعطير الأنام في تعبير المنام. (خ) المحبي: نفحة الريحانة ١٢٧ / ٢ - ١٣١ / ٢، دفتر الكتب التي صنفها عبد الغني النابلسي ٨٧ / ٢ - ٩١ / ٢، عام ٥٩٥٢، ظاهرية، الصديقي: خلاصة تحقيق الظنون ٩١، نقولا الترك: حوادث الزمان ٦ / ٢ - ٩ / ١، كتاب في التراجم ١١ / ٢، عام ٧٥٢٢، ظاهرية، عبد الغني النابلسي: الحقيقة والمجاز ٥٢ / ٢، ٥٣ / ٢، جميل العظم: السر المصون ٤١، ثبت أحمد المنيني ٥٠ / ١ - ٥٢ / ١، ثبت محمد الغزي ٣٦ / ٢، ٤٩ / ١ - ٥٢ / ١، تنقيح حوادث البديري ٣٨ / ١، ترجمة عبد الغني النابلسي ٨٣ / ٢ - ٨٥ / ٢، مجاميع ١٤٤، ظاهرية، فهرست أسماء الكتب التي صنفها عبد الغني النابلسي، عام ٥٩٥٢، ظاهرية، الأيوبي: كتاب في التراجم ١٣٧، عام ٤٣٢٤، ظاهرية، محمد أبو السعود الجسيبي: مجموعة متنوعة ٣٦ / ٢، عام ٤٦٦٨، ظاهرية، فهرس المؤلفين بالظاهرية (ط) المرادي: سلك الدرر ٣: ٣٠ - ٣٨، الجبرتي: عجائب الآثار ١: ١٥٤ - ١٥٦، ابن شاشو: تراجم بعض أعيان دمشق: ٦٧ - ٨٣، البغدادي: هدية العارفين ١: ٥٩٠ - ٥٩٤، الزر كلي: الأعلام ٤: ١٥٨، ١٥٩، فنديك: اكتفاء القنوع ٢٣١، الجلبي: مخطوطات الموصل ١٤٠، ١٥١، كتبخانة أسعد أفندي ٢٦، حميديه كتبخانة ٦٠، جميل العظم: عقود الجوهر ٤٦ - ٦٩، الكتاني: فهرس الفهارس ٢: ١٥٠ - ١٥٢، سر كيس: معجم المطبوعات ١٨٣٢ - ١٨٣٤، النبهاني: جامع كرامات الأولياء ٢: ٨٥ - ٨٩، البغدادي: هدية العارفين ١: ٥٩٠ - ٥٩٤، زيدان: تاريخ آداب اللغة العربية ٣: ٣٢٤، ٣٢٥ كحالة: معجم المؤلفين: ٥/ ١٤٩.

محمد رسول الله حقا، وتلاحظ في مركز تحقيق رسالته وعموم دعوته[1]، وأنك مقـــر ومعتـــرف فى ذلك جزما بالقلب من غير ترديد ولا تشكيك ثم تصمت وتـــسكن عن الحركة قدر إحدى وعشرين حركة وأطرق رأسك للأرض وليكن قلـــبك حاضرا مع المذكور، خاشعا، معتذرا عن التقصير فى جميع الأمور، وتلوم نفـــسك مـــراراً كي ينطلق منك الأسر وتراقب فى سرك وارد الذكر فإن أفناك وأغـــناك إلى الحشر لأن هذا وقته، ومن لم يأته فى وقته فمن علامات مقته. فإذا ورد عليك والحالة هذه فى لحظة واحدة يعمر وجودك ويحقق شهودك لمشهودك فيظهر لك من كل شيء أحسنه، فلحظة الوارد خير لك من مجاهدة ألف سنة ثم تمـــنع نفسك شرب الماء مقدار ساعة ونصف إن قدرت على ذلك وإن خفت علـــى نفسك من عدم الشرب أن يؤديك إلى المهالك فهو مباح لك أن تشرب حين ذلك لأن الذكر يورث شوقا وحرقة للمذكور والماء يطفئه، وإن أمكنك أن يكـــون الذكـــر بمحل مظلم إن لم يكن هناك من ينتقد وإلاَّ فلا، وإن أمكن أن يكون المحل مطيبا بالروائح الطيبة. فيكون أحسن وذلك لأجل إخوانك الملائكة والجن المؤمنين، لأنهم لا بد لهم من الحضور فى مجالس الذكر، كما شاهدنا ذلك غـــير مـــرة بعين البصائر، لا بالعين البصيرة وسمعنا أصواتهم فى الذكر معنا سماعا صـــحيحا، ونطقـــا صريحًا ؛ كما روينا ذلك عن السادات طبق ماهو محرر فى كتـــبهم، ومـــتى لمعـــت لك البوارق، أو الشهب، أو الكواكب أو سمعت ذكر الملائكـــة أو الجن فلا تخف من ذلك لأن من يخاف ربه يخافه كل شيء. فلا يقـــدر على إذايتك أحد من جميع العالمين بل إنما أنت حبيبهم ولكنهم يعينونك علـــى ذكـــر الله، وعلى أعدائك ؛ النفس، والهوى، والشيطان، لأن الملائكة إذا حـــضروا مجلسا ذهبت منه الشياطين. وأما الجن المؤمنون المجتمعون عليك لأجل ذكـــر الله تعالى فحاشاهم من الأذى فالذي يأتي لذكر الله بقصد غفران الذنوب، وحـــصول الـــتوبة، أو بقصد القربة وبقصد القيام بالعبودية فقط، فهل يقترف

---

(١) أي تلاحظ نفسك في بداية الدعوة وأنك واحد من الداعين إلى الله، الذين يغيرون لدينهم.

الكبائر ؟! أو يظن فيه ذلك ؟ فهم بمعتزل عن ذلك. ولكن ينبغي لك يا أخي إن لاح لك شيء مما ذكر أن لا تلتفت إليه ولا تلقى بالك لشيء ما لأن مرادك الله. وأما هؤلاء فلا حاجة لك فيهم بل يقطعونك إن مال قلبك إليهم، وإذا ملت عن الحضور بالله فتحجب عن الخالق بالمخلوق وعن الرازق بالمرزوق فلا يكن همك إلا مرضات الله تعالى، وأن تذكر الله بالله.

ومــن علامــات من يذكر الله بالله أن يحترق جوفه من نار الأشواق كما شاهدنا ذلك ذوقا وحالا، ولازم الإخلاص تشهد هذا المشهد فترتاح من ورطة التكليف بالإخلاص وترتقي إلى مقام الاستخلاص، لأن من ذكر الله بالله فلا يرى له ذكرا، ولا يرى له عملا يخلص فيه. فهل رأيت أحداً يرائي بأعمال غيره. وأما الــذين يكلفهم الله بالإخلاص فهم الذين يشهدون لهم أعمالا فيلزمهم الإخلاص بها فجاهد نفسك يا أخي لكي ترتاح من ورطة الإخلاص بشهودك أن الأعمال الــصالحة من الله تعالى وأنت آلة لها ونسبتها لك مجازا بمحض فضل الله سبحانه وتعالى لا حقيقة فمتى شهدت هذا المشهد ذوقاً لا اعتقاداً كما شهدنا فترتاح من الإخــلاص كمـــا ارتحنا. ومن ثم قيل: (العالمون كلهم هلكى إلا العاملين كلهم هلكـــى إلا المخلـــصين، والمخلصون على خطر عظيم)[1]. ثم اعلم أن حقيقة الإخلاص أن تخلص عبادتك لله تعالى.

وأدناه المعبر عنه بالإخلاص أن تخلص عبادتك من الشوائب كالرياء،

---

(١) (الناس كلهم موتى إلا العالمون والعالمون كلهم هلكى إلا العاملون والعاملون كلهم غرقى إلا المخلصون والمخلصون على خطر عظيم.) وبعضهم يرويه " هلكى " في الكل وبعضهم يرويه " موتى " في الكل. قال الصغاني وهذا حديث مفترى ملحون والصواب في الإعراب " العالمين " و " العاملين " و " المخلصين " انتهى..وأقول فيه إن السيوطي نقل في النكت عن أبي حيان أن الإبدال في الاستثناء الموجب لغة لبعض العرب وخرج عليها قوله تعالى ﴿ فَشَرِبُواْ مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ انتهى. وعليه فـــ " العالمون " وما بعده بدل مما قبله. انظر: العجلوني: كشف الخفاء:١٧٩٤/٢حديث رقم (٢٧٩٦). وانظر: الغزالي إحياء علوم الدين: وتخريجات الحافظ العراقي لهذا الحديث.

وملاحظة السوى، ولا تحب أن يطلع على عبادتك أحد سوى الله تعالى، ولا يضرك ملاحظة الثواب، وخوف العقاب مادمت في هذا المقام، ومتى نقلك الله منه إلى مقام الاستخلاص فحقيقة إخلاصك حيث ينيرك من حولك وقوتك في الأعمال الصالحة، ولا يليق في مقامك طلب الثواب، وخوف العقاب في مقابلة الأعمال الصالحة. لأنك قد اطلعت عليها، وعرفت أنها ليست لك. وإنما هي لله تعالى، ونسبتها لك مجازا بمحض فضل الله وكرمه عليك، إن وفقك لها وأبرزها على يديك، وإن لاحظت الثواب والعقاب فليكن من باب المنة والفضل، لا من باب المقابلة والعدل قال تعالى: ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴾ (الكهف /١١٠) فعلى هذا إياك ثم إياك أن تقيم في مقام الإخلاص، وتكلف نفسك فيه بل ارتح منه بالمجاهدة لهذه النفس الخبيثة حتى تشهد أن الأعمال أبرزتها يد القدرة الأزلية ويتضح لك بالذوق من قوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ (الصافات/٩٦) أي: خلقكم وخلق أعمالكم[1] فيظهر لك النور الأزرق، وتذهب صفات نفسك الأمارة، وتصير

(١) مقام الإخلاص: قال الله عز وجل (ألا لله الدين الخالص) الإخلاص تصفية العمل من كل شوب وهو على ثلاث درجات: الدرجة الأولى: إخراج رؤية العمل من العمل والخلاص من طلب العوض على العمل والنزول عن الرضا بالعمل.والدرجة الثانية: الخجل من العمل مع بذل المجهود وتوفير الجهد بالاحتماء من الشهود ورؤية العمل في نور التوفيق من عين الجود.
والدرجة الثالثة: إخلاص العمل بالخلاص من العمل تدعه يسير مسير العلم وتسير أنت مشاهدا للحكم حرا من رق الرسم. ويقول ابن عربي: ولما علم الله ما أودعه في خلقه وما جعل في الثقلين من الحاجة إلى ما أودع الله في الموجودات وفي الناس بعضهم لبعض قال فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً أي لا يشوبه فساد ولا يشرك بعبادة ربه أحداً أي لا يذل إلا لله لا لغيره وأمر أن نعبده مخلصين له الدين وقال ألا لله الدين الخالص وهو الدين المستخلص من أيدي ربوبية الأكوان فإذا لم ير شيئا سوى الله، وأنه الواضع أسباب المضار والمنافع لجأ إلى الله في دفع ما يضره ونيل ما ينفعه من غير تعيين سبب فهذا معنى الإخلاص ولا يصح وجود الإخلاص إلا من المخلَصين بفتح اللام فان الله إذا اعتنى بهم أستخلصهم من ربوبية الأسباب التي ذكرناها فإذا =

ترى منامات مرضيات كاجتماعها بالأولياء والصالحين وأهل الطاعات والعارفين فينقلك الأستاذ للاسم الثاني.

الفصـــل الثـــاني
في
اللوامة وما يختص بها

وتقدم ذكر صفاتها. فسيرُها: لله.

وعـــالمها: عالم البرزخ.

ومحـــلها: القلب.

وحـــالتها: المحبة.

وواردهـــا: الطريقة.

ونـــورها: أشقر.

وسمـــيت لـــوامة لكونها تارة تميل للطاعات، وتارة تميل للمعاصي، ومتى وقعـــت في معـــصية لامـــت نفسها، وندمت على فعلها، وتابت إلى الله تعالى بـــالإقلاع عـــنها، وتلازم الطاعة. ثم بعد حين تقع فى معصية أخرى، ثم تتوب. وهلم جرا، فهذا مقام الأبرار.

والاسم المختص بتزكيتها: (الله).وكيفية الذكر به بتحقيق الهمزة وسكون الهاء وإن فتحت الهاء وتركت الهمزة فيصير ذكرك: (هلا) وهذا ليس بذكر، ولا ينتج منه شيء للذاكر إلا التعب فقط، لأن الله سبحانه وتعالى ليس له هذا الاسم ولا يـــدل علـــيه بل هو كون من الأكوان أرأيت إذا أردت أن تنادى زيدا مثلا

استخلصهم كانوا مخلصين بكسر اللام وإنما أضاف إليهم الإخلاص ابتلاء ليرى هل يحصل لهم امتنان بذلك على الحق أم لا وقد وجد في قوله تعالى ﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُواْ ﴾ [الحجرات: ١٧] فان منوا بذلك وبخوا ونبهوا بقوله ﴿ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَـٰنِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴾ [الحجرات: ١٧]. انظر الهروي: منازل السائرين: ١٦، وابن عربي: الفتوحات المكية: ٢/٢٢٠.

وقلت يا عمرو فهل يجيبك زيد أم لا ؟ فهذا لا يكون أصلا ولا يقبله عقل عاقل أبـــدا، وإنما إذا أردت أن تنادى زيدا فتناديه باسمه فتكون منه الإجابة ولو قصد الذاكر (هلا) ذات الله فلا يقبل منه.

ثم اعلـــم أنه لا بد للذاكر أن يقول الله الله حتى يضيق نفسه، ويتنفس، ثم يـــستأنف الذكر كما تقدم. وإن أمكنه التنفس على الفرد يعنى يكون وقوفه فى كـــل مرة على الوتر على الشفع فيكون أحسن، وهكذا يكون ذكره دائما. ومن علامات قطع هذه النفس اللوامة وخرق حجبها أن تذهب عنك الصفات الذميمة ويظهر لك النور الأشقر والأصفر فتراه فى بعض الأوقات يلمع كالبرق وأنت فى حالة الذكر مغمض العينين وتسمع سائر الأشياء تذكر الله تعالى بهذا الاسم العظيم الأعظم، وتسمع الذكر من قلبك بأذني رأسك وتصير ترى مقامات تختص بعالم الأرواح والأسرار الإلهية فهذه علامات قطع هذه النفس وخرق حجبها، ولكن لا بـــد لك أولا من ذكر هذا الاسم الشريف باللسان جهرا حتى ينـــزل الذكر من اللـــسان للقلـــب[1]؛ فتراه مكتوبا بالنور فى سويداء القلب، وتترك ذكر اللسان،

---

(١) (ذكر القلب) يقول ابن عربي عن القلب وفعله: اعلـــم يا بنى- وفقنا الله وإياك - أن القلب بين إصبعين من أصابع الرحمـــن إن شاء أقامه، وإن شاء أزاغه، فإن أزاغه كان بيتا للشيطان، ومحلا للخسران، وموضع نظر المطرود من رحمة الله، ومعدن وسواسه، وحضرة أمانيه، ومهبط مردته، وخزانة غروره.وإن أقامه فذلك قلب المؤمن التقي الورع ؛ الذي قال فيه: (وما وسعني أرضى ولا سمائي ووسعني قلب عبدي المؤمن) فقلب يسع القديم فكيف يحس بالمحدث موجودا، وفى هذا المقام تحقق شيخ الشيوخ أبو يزيد البسطامي (رضي الله عنه) حيث قال:لو أن العرش وما حواه مائة ألف ألف مرة في زاوية من زوايا قلب العارف لما أحس به. فقلب العبد الخصوصى بيت الله، وموضع نظره، ومعدن علومه، وحضرة أسراره، ومهبط ملائكته، وخزانة أنواره، وكعبته المقصودة، وعرفاته المشهودة، رئيس الجسم ومليكه﴿ وَإِذَا قَضَى أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ مع السلامة من الآفات،وزوال الموانع، بصلاحه صلاح الجسد، وبفساده فساده. ليس لعضو ولا جارحه حركة، ولا ظهور، ولا كمون، ولا حكم، ولا تأثير إلا عن أمره. وهو محل القبض والبسط، والرجاء والخوف، والشكر والصبر.

وتذكـــر بالقلب. ومتى ظهر لك العلامات المذكورة آنفاً فينقلك الأستاذ للاسم الثالث.

الفصـــــل الثـــالث

في

بيان النفس الملهمة

سمـــيت بهـــذا الاسم لأن الله سبحانه وتعالى ألهمها علـــم ما يضرها وما ينفعها.

وصفاتها سبعة محمودة تقدم ذكرها عند ذكر مراتب النفوس السبعة.

وهى أشرف وألطف من اللوامة.

فسيرُها: على الله.

وهو محل الإيمان والتوحيد وهو محل التنـــزيه والتجريد. وهو الموصوف بالسكر والصحو، والإثبات والمحو، والإسراء والنزول. هو ذو الجلال والجمال، والأنس والهيبة، والتجلي والمحق.هو صاحب الهمة والمكر، والحرية والوجود، وعين التحكيم والانزعاج، والعلة والاصطلام، والتداني والترقي، والتدلي والتلقي، والأدب والسر، والسنة، والوصل والفصل، والغيرة والحيرة.هو حامل المعاني، ومدبر المغاني. كما أنه صاحب الجهل والغفلة، والظن والشك، والكبر والكفر، والنفاق والرياء، والعجب والحسد، والشوب والهلع، ومحل الأوصاف المذمومة كلها. إذا لم ينظر الله إليه ولا أدناه منه،حرمه التوفيق والهداية، وخيبته في الأزل العناية. هو رسول الحق إلى الجسم، فإمّا صادق وإمّا دجّال، إمّا مُضِلٌ وإمّا هاد.فإن كان كريما أكرم، وإن كان لئيما أُسلم. فإن كان رسول خير، وإمام هدى حرّك أجناده بالطاعة، وتوجهت سُفراؤه إلى أمرائه العشرة من عالم الغيب التي هي حضرته، وعالم الشهادة التي هي باديته يكتب الاستقامة على السنة والجماعة، لكل أمير بما يليق به من التكليف تقتضيه حقيقته. وهم عشرة:خمسة ملكوتية. وخمسة ملكية.فالأمراء الملكوتيون: يُسمّون أرواحا.والأمراء الملكيون: يُسمّون حواسا. كحاسة السمع، وحاسة البصر، وحاسة الشم، وحاسة الذوق، وحاسة اللمس.والأمراء الروحانيون: كالروح الحيواني، والروح الخيالي، والروح الفكري، والروح العقلي، والروح القدسي. فإذا نفذ الأمر الإلهي إلى أحد هؤلاء الأمراء من القلب بادر إلى امتثال ما ورد عليه، على حسب حقيقته، وهؤلاء السفراء هم الخواطر المشهورة.

وواردها: المعرفة.

وعـــالمها: عالم الأرواح.

وحـــالها: العشق.

ونـــورها: أحمر.

والاسم:الذي يذكر به السالك المختص بتزكيتها " هو " وكيفية الذكر به أن يأخـــذ الهاء من تحت الثدي الأيمن بالنفس الصاعد ويجره إلى الكتف الأيسر ويخفـــض رأسه عند الأخذ إلى جهة اليمين، ويرفعه عند المد إلى جهة اليسرى بحـــيث يلتوي عنقه بقدر ما يمكنه ويحرك جميع أعضائه عند ذلك، ويمد الواو بقـــدر ألف واحد، أو ألفين، أو ثلاث ألفات. ويجتهد في ذكره حتى يغيب عن شـــعوره ويـــستغرق فى غيب الهوية الذاتية السارية فى الأكوان بلا سريان وهو يلاحظهـــا فى القلـــب حتى يغيب فيها عن حسه بحيث يرى الأول فى الآخر، والآخر في الأول، والظاهر في الباطن، والباطن في الظاهر، فيفنى عن نفسه الفناء الأول.

– وأما الفناء الثاني فيعتريه في المقام الخامس.

– والفناء الثالث يعتريه في المقام السابع، وهو عين البقاء وإلى ذلك أشار سيدي عمر بن الفارض[١] (قدس الله سره) بقوله:

---

(١) (ابن الفارض): هو (عُمر بن الفارض) هو: عمر بن علي بن المرشد بن علي الحموي الأصل، المصري، المعروف بابن الفارض، شرف الدين، أبو حفص، سلطان العاشقين، الشاعر الصوفي الشهير صاحب التائية الكبرى والشعر الراقي الرائق الجميل.ولد (رضي الله عنه) بالقاهرة في الرابع من ذي القعدة سنة ٥٧٦هـــ ونشأ بها واشتغل بفقه الشافعية، وأخذ الحديث عن ابن عساكر، وأخذ عنه الحافظ المنذري، وغيره. ثم حبب إليه طريق السادة الصوفية، فمضى في الطريق حتى بلغ فيه ما بلغ. شهد له بذلك الكثيرون من علمائه وأولياء الله تعالى، وشهد له نموذجه الفريد لهذه الأشعار العذبة الممتلئة، بل والمكتنزة بالمعاني، المشعة بالأنوار، فضلا عن كراماته الشهيرة التي نقلها أهل زمانه. ترك ديواناً من الشعر الرائق وتوفي، رحمه الله، بالقاهرة سنة ٦٣٢ هـــ ودفن بالقرافة.

فيفنى ثم يفنى ثم يفنى * وكان فناؤه عين البقاء

يعنى الفناء الثالث هو عين البقاء. فمن حاز هذه المقامات الثلاثة كان من الفائزين الحائزين الواصلين، وإلى هذا أشار بعضهم بقوله: (من شهد الخلق لا فعل لهـم، فقد فاز. ومن شهدهم لا حياة لهم فقد حاز، ومن شهدهم عين العدم فقد وصل).

ثم اعلـم يا أخي وفقني الله وإياك إلى شأنه ومنحنا شهود ذاته أن هذا المقـام الـثالث الـذى نحن بصدده. أعني مقام النفس الملهمة، هو مزلة أقدام السالكين فلا بد لهم من مرشد يرشدهم إلى التجليات الإلهية لأن للنفس والروح تجلـيات فيشكل على السالك التمييز بين التجليات فقد يعتقد أن تجلى النفس والروح هو تجلى الله سبحانه وتعالى فيضل عن الصراط المستقيم، كما وقع لي في ابـتداء حـالي في هذا المقام. كنت أرى نورا كالقمر فى وجهي تجاه جبهتي إن فـتحت عـيني أو غمضتها أراه ولا يفارقني فظننت أنه من تجلى الله على وما أعرب لي عن ذلك وعرفني حقيقة التجلي الرباني من التجلي النفساني من التجلي الـشيطاني إلا أسـتاذي (قدس الله سره) وأعاد علينا وعلى المسلمين بره، لأن روحانيته كانت لا تفارقني فجزاه الله عنى أفضل الجزاء، ومن لم يكن له مرشد في هـذه المرتبة فليترك الذكر بهذا الاسم ويشتغل بالاسم الثاني أو الأول حتى يجد المرشد خوفا إن يزل قدمه فيكون من الهالكين نسأل الله تعالى العافية.

ثم اعلـم أن الفناء الأول[1] قد وقع فيه خلاف عند السادات (قدس الله

انظر: كحـالة: معجـم المـؤلفين: ٧ / ٣٠١.

ابن خلكان: وفيات الأعيان: ١ / ٤٨٣.

ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة: ٦ / ٢٨٨.

د/ محمد مصطفى حلمي: ابن الفارض والحب الإلهي.

يوسف النبهـاني: جامع كرامات الأولياء: ٢ / ٢١٨.

(١) الفناء: هو الزوال والاضمحلال، كما أن البقاء ضده . والطائفة يجعلون الفناء على مراتب وهي كثيرة. وعند الشيخ عبد القادر الجيلاني (رضي الله عنه): افن عن الخلق بإذن الله تعالى، وعن هواك بأمر الله تعالى، وعن إرادتك بفعل الله تعالى، وحينئذ تصلح أن تكون وعاء لعلم الله تعالى .ولكل مرحلة من هذه علامة تميزها..ثم إن الفناء

أســـرارهم) وأعلى منارهم ففريق منهم يعبرون عنه بالذهول الذى يعترى الذاكر بهـــذا الاسم في هذه المرتبة والفريق الأخر يعبرون عنه بفناء الصفات المذمومة، والـــذي شـــاهدته في نفسي ذوقا حين كنت فى هذه المرتبة الحالتين معا ولا بد للـــسالك الصادق المجاهد جهادًا كليّاً أن يذوقهما معا، وينبغي للسالك أن يسلم أمـــره للمرشد ولا يزن أعماله فى هذه المرتبة بميزان الشريعة لأن المرشد فى هذه المـــرتبة علـــى قدم الخضر (عليه السلام) فتحرم مخالفته، وفى هذا المقام يتعاقب القبض والبسط على السالك. فبالقبض يكاد أن ينشق صدره، وبالبسط يكاد أن يطـــير لله جسده. فبالقبض تفنى بشريته وبالبسط تزداد روحانيته فعلى الحالتين تحـــصل لـــه الفائدة، وفى هذا المقام يدخل فى الولاية الصغرى التي هي الولاية الخاصـــة. وعند دخول هذا المقام يظهر له النور الأحمر بالتجلي له، وذلك النور من النفس الملهمة بل من حقيقتها فحينئذ يلقنه الأستاذ الاسم الرابع.

الفصـــل الرابـــع
في
النفس المطمئنة وأحوالها

وتقدمت صفاتُها وهى ألطف وأشرف من الملهمة.

فسيرُها: مع الله.

وعـــالَمُها: عالم الحقيقة المحمدية.

ومحلـــُّها: السر.

وحـــالُها:الوصلة.

وواردها: الحقيقة.

له مراتب متعددة.

انظرها في: القاشاني: معجم المصطلحات الصوفية: ٢ / ٢١٧. كما أن البقاء في اللغة ضد الفناء. وله معان.) وعند السادة الصوفية: يطلق ويراد به: رؤية العبد قيام الله في كل شيء. فالبقاء أحد المقامات العشرة التي يشتمل عليها قسم النهايات لأهل السلوك في منازل السير إلى الله تعالى.

ونـــورُها: أبيض.

وا سمُها المختص بتزكيتها: حق.

وكيفية الذكر به أن يأخذه من السر تحت الثدي الأيسر ويجره إلى فمه، ويخفض رأسه إلى جهة السر عند الأخذ ويرفعه إلى الجبهة التي فوق عند الإخراج ويلاحظ معناه أنه واجب الوجود ظاهر فى كل موجود على معنى ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ﴾ (القصص/٨٨) فإن داوم على ذكره بهذه الكيفية ينشرح صدره للإسلام فتطمئن نفسه وروحه بذلك، ويتجلى عليه الله سبحانه وتعالى باسمه الحق، ويسرى ذلك التجلي فى ظاهره وباطنه، وينادى له الحق من سره: (أنا الحق) لكمال اتصاله إلى الحق سبحانه وتعالى فعند ذلك تضمحل عنه الأحكام الإمكانية، وتظهر له الآثار الحقانية، وفى هذه الحالة يحتاج إلى المرشد كمال الاحتياج ليدله على معرفة الفرق بين الوجود الحقاني والوجود الامكانى، ويخرجه من بحر الحيرة إلى ساحل الهداية، ومن مقام التلوين إلى مقام التمكين[1]، لأن هذا المقام مذلة أقدام العارفين وقلما يخلص فيه العارف عن الدعاوي والشطحات كما وقع للمنصور[2] في قوله: " أنا الحق " فلو كان له مرشد لأخرجه من هذا المقام وعقباته العظام، ومن لم يكن له مرشد وتكلم بما يخالف ظاهر الشريعة فهو معذور، عند أهل الحقيقة لعلمهم أنه لا يتكلم على لسانه بل يتكلم على لسان الحق فكلامه مُؤَوَّل بتأويل مطابق لظاهر الشريعة حرفا بحرف كما حكي عن أبى يزيد البسطامي[3] (قدس الله سره) حين قال: " سبحاني ما أعظم شأني "

---

(١) تقدم أول الكتاب التعريف بمقامي التلوين والتمكين فانظر هما.

(٢) ربما قصد الحسين بن منصور الحلاج، ولا ندري هل منعه من ذكر الاسم شيء.

(٣) (أبو يزيد البسطامي): طيفور بن عيسى بن سرو شان، كان جده مجوسيا فأسلم، وهم ثلاثة أخوة: آدم، و طيفور، وعليٌّ، وكلهم زهّاد، عُبَّاد، أرباب أحوال، وهو من أهل بسطام، مات، ﷺ سنة ٢٦١هـــ.كان يقول: (من أدّعى الجمع بابتلاء الحق، يحتاج أن يُلزم نفسه علل العبودية).

وسئل أبو يزيد: بما نالوا المعرفة؟ قال: بتضييع مالهم والوقوف مع ماله.

فسئل عن ذلك فقال في الجواب: حق ذكر نفسه على لسان عبده.

وحكى عن المنصور الحلاج[1] لما قتل كل قطرة دم وقعت منه على الأرض كتبت على الأرض " أنا الحق " ولولا أن سلم نفسه للقتل باختياره ؛ بل كان يحثهم على قتله، ويقول: ما من شيء أهم للمسلمين من قتلى. لما كان أثر فيه شيء لأن الحال يحمى صاحبه كما وقع لسيدنا إبراهيم (عليه الصلاة والسلام) فى نار نمرود فإن حاله حماه منها بل أذهب النار بالكلية، وقلب صفتها من الإحراق إلى الإغراق، بعد ما كانت نارا تحرق فصارت ماء تغرق ولولا أن الله تعالى قال لها ﴿ قُلْنَا يَـٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَـٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ (الأنبياء٦٩) لتأذى (عليه الصلاة والسلام) من شدة بردها فقد كانت للناظرين نارا، وهى في الحقيقة نور. وكانوا يظنون أنه فى أشد العذاب والعقاب الأليم وهو يتنعم فى النعيم المقيم ويتلذذ فى مسامرة الكريم وكذلك المنصور من الوارثين لهذا المقام فكانوا يظنون أن فى القتل والصلب يقاسى أشد العذاب، وهو في النعيم وأعذب شراب ولو أراد أن يدفع أذاهم عنه لردهم عنه خائبين وما أثر فيه شيء وسلم نفسه منهم ومن جميع العالمين ولكن خيَّره مولاه بين لقائه وبقائه فاختار لقاء مولاه وأحب أن يُقتل في حبه قتلة حسية بعد قتلته المعنوية فينال الشهادتين ويحصل على المقامين، ومن حكم بقتله من سادتنا أهل الشريعة فهو مثاب على ذلك صيانة للشريعة الغرّاء الواضحة البيضاء، فهم مقيدون بحفظ الحدود وأخذ

انظر ترجمته في: أبو نعيم: حلية الأولياء ١٠/٣٣، الشعراني: الطبقات: ١/٨٩، الإمام القشيري: الرسالة ص١٧، ابن خلكان: وفيات الأعيان ١/٣٠١، السلمي: طبقات الصوفية ٦٧، ابن كثير: البداية والنهاية: ١١/٣٥، ابن العماد: شذرات الذهب ٢/ ١٤٣، المناوي: الكواكب الدرية ١/٤٤٢.

(١) هو الحسين بن منصور، الملقب بالحلاج. وهو أحد ألقابه الكثيرة ولكنه أشهرها. ولد سنة ٢٤٤هـ وقتل ببغداد سنة ٣٠٩هـ عن خمسة وستين عاما. صحب عمرو بن عثمان المكي، والإمام الجنيد وغيرهما.ترك عددا من المؤلفات تصل إلى خمسين مؤلفا.
انظر: كتاب(أخبار الحلاج) بتحقيقنا، وانظر أيضا بتحقيقنا(قصة الحلاج وما جرى له مع أهل بغداد) المكتبة الأزهرية للتراث.

عليهم مولاهم بذلك المواثيق والعهود. وكل من تخلق بما تخلق به الحلاج يجب عليهم قتله إن لم يتحققوا بسكره وغيبوبته عن شعوره. وأما إن تحققوا بسكره وغيبته عن شعوره فحرام عليهم قتله بالإجماع ويقتل به الجم الغفير لإجماع العلماء أن من اعتقد فى خل أنه خمر فشربه لا يأثم وإن سكر لا تجرى عليه الأحكام الشرعية فى حال سكره فكيف بمن سكر فى حب الله، وفى شهود الله، وعقله في قبضة الله تعالى، وهو مأخوذ عنه، ومستهلك في الحضرة الأحدية فمن باب أولى. لأن ميزان الشرع على العقلاء وما هو على المجانين. إذا أخذ ما أوهب أسقط ما أوجب، فهذه كلمة جامعة، وبروقها لامعة، وسحبها هامعة، وثمارها يانعة، وللشرور مانعة، ولحجة الغير قاطعة، فهي من لباب العلم ومن جوامع الكلم. فأمعن النظر فيها لعلك تفهم ما انطوى فيها فتبدو لك خوافيها، وتنظم من قوافيها. فلنلوى عنان البيان عن مجال التبيان ونرجع لما نحن بصدده فنقول:

إن السكران في حب الله تعالى، الغائب عمن سوى الله، ساقطة عنه التكاليف الشرعية بالإجماع، ومتى رجع من السكر إلى الصحو تجرى عليه سائر الأحكام الشرعية، ولكن لا يرجع السالك عن دعواه فى هذه المرتبة، ولو رجع للصحو ما لم يرجعه شيخه عنها ويبلغه إلى مقام الصحو والانتباه لأن السالك فى هذا المقام من العارفين القاصرين عن رتبة التعبير فليسوا كالكاملين. لأن المعرفة دون الكمال، فالعارف إذا لم يصل إلى مقام تلوين التمكين، ويرتقى عن مقام تلوين التلوين لا يقدر على تعبير ما يقول مطابقا للشريعة. وأما المتمكن في مقام تلوين التمكين يعبر عن جميع ما يقول بعبارة صريحة موافقة للمعقول والمنقول، ومن ثم قيل: العارف ما عنده شيء تالف. يعنى العارف المتمكن ولقد غرقت فى لجة هذا المقام وقاربت أن أذوق فيه كئوس الحمام ولكن تداركت فى يد العناية الأزلية وجفتني الألطاف الخفية بل وفى الأستاذ الأعظم والملاذ الأفخم شيخي وقرة عيني الشيخ محمود الكردي (قدس الله أسراره) وأعلى فى الخافقين مناره لقد فك عقالي من هذا المقام وانقذنى من لجته وأهواله العظام، وبلغني غاية المراسم. فجزاه الله عنى كل خير عميم وأسكنه أعلى المقامات فى جنان النعيم ثم إذا رجع المريد للإحساس وجمع بين الحق والخلق من غير التباس فى كل طرفة ولمحة ونفس من الأنفاس ولا يشغله الخلق عن الحق ولا الحق عن الخلق، ويراهما معا

بالضرورة. فجاز للشيخ أن يعطيه الخلافة ويأذن له فى الإرشاد وتسمى هذه الخلافة الصغرى.

وأمَّا الخلافة الكبرى لا تعطى للسالك فى هذا المقام ولكن فى المقام السابع بعـــد إتمامـــه، لأن صاحب هذا المقام ما فى طاقته وقدرته أن يدعو الناس إلى الحقيقة، وإنما يدعوهم لظاهر الشريعة والطريقة ولا بد للسالك أن يحذر فى هذا المقام حب الرياسة، والشهرة، والكرامة، ولا يرضى بشيء من ذلك إلا إذا أراد الله له ذلك على سبيل الحتم، وعلى سبيل العرض لأن هذا كله من أعظم القواطع عـــن الله ومـــن أكـــبر الموانع الحاجبة عن شهود الله. ولا بد أن يكون السالك كالتراب تحت جريان الأقدار ساكنا تحت قهر المشيئة تاركا للاختيار وأن يحفظ الآداب مع الله فى كل حال من الأحوال من الأخذ والعطاء والقال والأعمال لأن الـــسالك فى هذا المقام يؤخذ بأدنى شيء من إساءة الأدب[1]. فمن أساء الأدب

---

(١) اعلم أيدك الله أن الله تعالى يقول: "وهو معكم أينما كنتم" فالأديب: إمَّعة لما عنده من السعة فهو مع كل مقام بحسب ذلك المقام، ومع كل حال بحسب ذلك الحال ومع كل خلق ومع كل غرض فالأديب: هو الجامع لمكارم الأخلاق والعليم بسفسافها لا يتصف بها بل هو جامع لمراتب العلوم محمودها ومذمومها لأنه ما من شيء إلا والعلم به عند كل عاقل فالأدب جماع الخير وهو ينقسم إلى أربعة أقسام في اصطلاح أهل الله:

القسم الأول: أدب الشريعة، وهو الأدب الإلهي الذي يتولى الله تعليمه بالوحي والإلهام به أدب نبيه صلى الله عليه وسلم فهم المؤدَّبون المؤدِّبون قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن الله أدبني فأحسن أدبي).

والقسم الثاني: أدب الخدمة، وهو ما أصلحت عليه الملوك في خدمة خدمها وملك أهل الله هو الله فقد شرع لنا كيفية الأدب في خدمته وهو معاملتنا إياه فيما يختص به دون معاملة خلقه فهو خصوص في أدب الشريعة لان حكم الشريعة يتعلق بما هو حق لله وبما هو حق للخلق.

والقسم الثالث أدب الحق وهو الأدب مع الحق في أتباعه عند من يظهر عنده ويحكم به فترجع إليه وتقبله ولا ترده ولا تحملك الأنفة إن كنت ذا كبر في السن أو المرتبة وظهر الحق عند من هو أصغر منك سناً أو قدراً أو ظهر الحق عند معتوه تأدبت معه وأخذته عنه واعترفت بفضله عليك فيه هذا هو الاتصاف وما رأيت من تحقق بهذا =

تسارع إليه العطب لكونه من المقربين، ومن فريق العارفين، ومتى حصل له هذا الكمـــال، وتقـــرر في مقـــام الوصال، وظهر له النور الأبيض، وهو نور النفس المطمئنة، وتحقق بالحقيقة وتقرر فى مقام الوصلة يلقنه الأستاذ الاسم الخامس.

الفصل الخامس
فى
النفس الراضية وأحكامها وأحوالها

وتقدمت صفاتها.

فسيرُها: في الله.

= خلقاً في عمري الا سيد واحد يقال له أبو عبد الله ابن جبير لقيته بمدينة سبتة وقصر كتامه وهو جزء من آداب الشريعة فان أدب الشريعة هو الأم لباقي الأقسام.
والقسم الرابع: أدب الحقيقة وهو ترك الأدب بفنائك وردك ذلك كله إلى الله وسيأتي في الباب الذي يلي هذا الباب وهو في المقامات كالوهب في أصناف العطاء وهو أن يعطي لينعم لا لسبب آخر وكذا المأدبة الاجتماع على طعام ماله سبب إلا الدعوة إليه خاصة.لا لسبب بل لكون جامع ذلك له نفس فاضلة خيرة بالذات فذلك هو الأديب وللأدب حال ومقام وهذا باب معرفة مقامه فمقامه هو ما يثبت له دائماً وليس ذلك إلا الأدب مع الحق فإنه له الدوام في الدنيا والآخرة، وما فاز به الا أهل الفتوة من الملامية لا غير. سلكوا فيه كل مسلك واستخرجوا كنوزه، وحصلوا فوائده كما قال الله تعالى انه (ما خلق السموات) وهو كل عالم علوي (والأرض) وهو كل عالم سفلي (السماء) من عالم الصلاح (والأرض) من عالم الفساد ومنه اشتقت اسم الأرضة لما تفسده في الثياب والورق والخشب ويسمى أيضاً السوس والعث وما بينهما (الا بالحق) من العالم فهذا الحق المخلوق به هذا العالم هو الذي تتأدب معه فانه سبب وجود أعيان العالم وبه يحكم الله يوم القيامة بين عباده وفي عباده وبه انزل الشرائع فقال لرسوله داود "يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى" وان كان مخلوقاً بالحق فانه مما بين السماء والأرض أو هو عين الأرض فمقام الأدب العمل بالحق والوقوف عند الحق وإياك أن تتوهم من هذا القول إن الصدق هو الحق من حيث انك تقول قال حقاً إذا صدق في قوله وقال صدقاً بل الحق حاكم على الصدق وعلى الكذب بالحسن والقبح فالحق في موطن يحمد الصدق وفي موطن يذمه وينهي عنه ويثني على الكذب الذي هو ضده. انظر: ابن عربي: الفتوحات المكية: ٢/ ٢٨٤ الباب ١٦٨.

وعـــالمُها: عالم اللاهوت.

ومحـــلُّها: سر السر، وهو الفؤاد.

وحـــالُها: الفناء.وليس لها وارد.

ونـــورُها: أخضر.

واسمها المختص بتزكيتها: " حي "، وكيفية الذكر به أن يأخذه من الجانب الأيمن من فوق الثدى الأيمن ويمده إلى لسانه وعند أخذه يخفض رأسه إلى صدره فى الجهة اليمنى وعند إخراجه يرفعه إلى الجهة الفوقية ويلاحظ معناه بأنه واجب الوجود المتصف بالحياة القديمة الأزلية الموجبة لجميع الكمالات الإلهية ويداوم على ذكره بهذه الكيفية حتى يفنى عن حياته الحادثة، ويبقى بالحياة الباقية، فحينئذ يرى أن جميع الأشياء ذات حياة حية بحياة الله القديمة الأزلية سارية فيها بلا سريان فيذوق معنى قوله تعالى: ﴿ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ ﴾ فيسمع الأشياء تذكر الله بلسان القال ذكرا صريحا من غير إشكال فهذا مقام ما هو لأهل الحجاب بل لمن كشفت الحجب عن عين قلبه، وولج من داخل الباب، وروقت له كؤوس المدام وارتوى من صرف الشراب واتصف بالفناء عن الفناء ورأى الوجود كالسراب. ففي هذا المقام ينكشف للسالك ملكوت كل شيء فيرث الآيات الدالة على الله تعالى هي عين الوجود الخفي ويضمحل هناك الوجود الخلقي ويسمع تسبيحات الملأ الأعلى ويفقه تسبيحات الأشياء ويرى الملائكة يدخلون من باب عالم الملكوت ويخرجون من باب عالم الشهادة ولقد صفا لى الوقت لحظة وذلك فى جوار سيدي الشيخ على التلمساني (قدس الله سره) فى الخلوة المعلومة لمولانا الشيخ حسن الطباخ المعدة للأذكار لساداتنا خلوتية دمشق الشام (قدس الله أسرارهم) فتجلى الله سبحانه وتعالى باسمه الحى فسمعت قراءة البردة من حيطان تلك الخلوة المنورة بلسان فصيح وقراءة مرتلة بإذني رأسي وما ذلك إلا من بركة من نحن فى رحابهم وتحت أنظارهم فإياك أن تنكر ذلك فتقول هذا شيء مستغرب الوقوع فتكذب صريح الآيات القرآنية وإن قلت: ذهب الزمان وما بقى أحد من أهل هذا الشأن فنقول لك: ماذا تقول فى

حديث رسول الله (صلى الله عليه وسلم): **(الخير في وفي أمتي إلى يوم القيامة)**[١] فمن جد وجد ومن لازم الباب لا يرد وإن أردت أن تكون من أهل هذا المشهد وتسمع نطق الأكوان بذكر الواحد الأحد فاخرج من الدنيا ولا تجنح إلى حد سوي من خلق الخلق وتنـــزّه عن النظير، والمثيل، والصاحبة، والولد. فتذوق حينئذ ما ذقنا وتجد فى السير كي تلحقنا وإن لم تقدر على إطلاق وثاقك من أسر النفس الأمارة فالعب الكرة والصولجان مع الصبيان فى الحارة وسلم لأهل الأذواق أذواقهم فيكون لك مالهم وعليك ما عليهم فتحشر يوم القيامة فى نصرتهم تحت ألويتهم ولواء سيد المرسلين والأولين والآخرين لأن **(المرء مع من أحب)**[٢]: **(المرء على دين خليل فلينظر أحدكم من يخالل)**[٣] وأما المعترض

(١) حديث: (الخير في وفي أمتي الى يوم القيامة). قال في المقاصد قال شيخنا لا أعرفه ولكن معناه صحيح يعني في حديث لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق الى أن تقوم الساعة)وقال ابن حجر المكي في الفتاوى الحديثية لم يرد بهذا اللفظ وإنما يدل على معناه الخبر المشهور: لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم وفي لفظ من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك وفسر ذلك الأمر بريح لينة يرسلها الله لقبض أرواح المؤمنين ثم لا يبقى على وجه الأرض إلا شرار أهلها فتقوم الساعة عليهم كما في حديث لا تقوم الساعة وعلى وجه الأرض من يقول الله الله انتهى. انظر: العجلوني: كشف الخفاء: ٢٤٧/٢ الحديث رقم (١٢٦٧).

(٢) حديث: (المرء مع من أحب) وعن عبد الله – يعني ابن مسعود – قال: جاء أعرابي إلى النبي صلى الله عليه وسلم شيخ كبير فقال: يا محمد متى الساعة ؟ قال: " ما أعددت لها؟ ". فقال: لا والذي بعثك بالحق ما أعددت لها كثير صلاة ولا صيام إلا أني أحب الله ورسوله قال: " فأنت مع من أحببت ". قال: فوثب الشيخ فبال في المسجد فقال النبي صلى الله عليه وسلم: " دعوه فعسى أن يكون من أهل الجنة ". وصب على بوله ماء. قلت: له في الصحيح منه: " المرء مع من أحب " .
رواه البزار وفيه سمعان المالكي وهو مجهول وقد ضعفه أبو زرعة وبقية رجاله رجال الصحيح.
انظر: ابن حجر الهيثمي: مجمع الزوائد: ٤٩٨/١٠ الحديث رقم (١٨٠٢٢).

(٣) (المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل) ورد في الأصل المخطوط بكلمة " يحشر ".
رواه أبو داود والترمذي وحسنه والبيهقي والقضاعي عن أبي هريرة رفعه وتساهل ابن

فمطرود عن حضراتهم وحضرات رب العالمين ويخشى عليه أن يكتب في ديوان إبليس اللعين وقيل فى ذلك مواليا:

لا تعترض واعتقد تكتب من الأحباب   كلـــيلة القدر أخفاها عن الطلاب
ولا تكـــن منكـــراً يغلق عليك الباب   الأوليا في الورى أخفاهم الوهاب

اللهم اجعلنا من المحبين فيهم المحبوبين لديهم ممن يصدق بأقوالهم ويسلم لهم ســائر أفعــالهم ولا تجعلنا من المنكرين عليهم المحرومين مما لديهم واجعلنا ممن استدام على خدمتهم ودام على صحبتهم اللهم أمين.

ثم اعلـــــم يا أخي وفقني الله وإياك لمرضاته أن السالك فى هذا المقام لا يحـــتاج إلى مرشدين فيه عن هذا المقام لأنه إذا طمع فى الترقى ترقية همته بعناية من الله سبحانه وتعالى ومع ذلك لا يقدر السالك على الإرشاد لعدم رسوخه فى مقـــام الـــبقاء بالله لأن البقاء بالله يعطى له في المقام السابع ومن خصوصيات الـــسالك أنه متى دخل فى هذا المقام أحبه جميع الأنام من صالح وطالح ويكرمه جميع الملك فلا يلتفت لشيء أصلا لأن الالتفات فى هذا المقام إعراض عن الحق، ومتى تجلى له الحي باسمه الحي بصفة الحياة القديمة وفني عن الحياة الحادثة فظهر به النور الأخضر، يلقنه الشيخ الاسم السادس.

الفصل السادس
في
النفس المرضية وأحوالها وأحكامها

وتقدم ذكر صفاتها.

فسيرها: عن الله.

الجوزي فأورده في الموضوعات ومن ثم خطأه الزركشي وتبعه في الدرر، وقال الحافظ في اللآلئ والقول ما قال الترمذي يعني أن الحديث حسن. ورواه العسكري عن أنس رفعه بلفظ المرء على دين خليله ولا خير في صحبة من لا يرى الك من الخير أو من الحق مثل الذي ترى له. ورواه ابن عدي في كامله بسند ضعيف. وأورده جماعة منهم البيهقي في شعبه بلفظ من يخال بلام مشددة .

انظر: العجلوني: كشف الخفاء: ١٢٧٨/٢ الحديث رقم (٢٢٨١).

وعالمها: عالم الشهادة.

ومحلها: الخفي ؛ في الجانب الأيمن من الصدر.

وحالها: البقاء.

ووارِدُها: الشريعة.

ونورها: أسود لانطماسها بأنوار التجلي.

واسمهـــا: القيوم، وكيفية الذكر به أن يأخذه الذاكر من الخفي، في الجانب الأيمن من الصدر، ويجره إلى لسانه مع رعاية مخارج حروفه، ويخفض رأسه إلى الجهة اليمنى عند الأخذ، ويرفعه إلى جهة الفوق عند الإخراج، ويلاحظ معناه أنه ذات الواجب الوجود التي لها قيومية السموات والأرض وما بينهما، ويداوم على ذكره بهذه الكيفية حتى يتجلى له بصفته القيومية فيشاهد بعد ذلك قيومية الله عز وجل فى كل محسوس ومعقول ويرى العوالم كلها قائمة بقيوميته سبحانه وتعالى، وبـــذلك التجلـــي يحـــصل له فناء الوجود فى الوجود ويقال عند الصوفية: فناء الـــشهود فى الـــشهود، وإيـــصال الوجود بالوجود.ويقال له أيضا: فناء الفناء، فيحـــصل للسالك من ذلك التجلي وجود يحيط بجميع الوجود ويكشف له سر قوله تعالى فى الحديث القدسي: (كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به)[1] الحديث فلو رمى نفسه من العالم يتضرر لأن ذلك الوجود يصونه ويعطيه

---

(١) حديث: (كنت سمعه الذي يسمع به) وأذكر هنا رواية الإمام البخاري وفيها: الحديث رقم (٦٠٢١) قال: حدثني محمد بن عثمان بن كرامة حدثنا خالد بن مخلد حدثنا سليمان بن بلال حدثني شريك بن عبد الله بن أبي نمر عن عطاء عن أبي هريرة قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): (إن الله قال من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها وإن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته. وهذه الرواية بهذه الكيفية انفرد بها البخاري، ولكن للحديث طرق أخرى وصيغ أخرى.

وانظر في ذلك: مسند الإمام أحمد الحديث رقم (٩٢٤٤)، (١٠٣٦٤)، (٢٤٩٩٧).

الله قـــدرة على جميع الأضداد ويتشكل بأشكال متعددة ويرى المجمل فى المفصل والمفصل في المجمل، ويدعو الخلق إلى الشريعة والطريقة، ولا يدعوهم إلى الحقيقة إلا إن أذن لــه الحق عز وجل. ولا يحتاج السالك إلى المرشد في هذا المقام فى كشف الأسرار، وإنما المرشد معه كالرفيق الشفيق لا يُفارقه أبدا.

والسالكون في هذا المقام على قسمين:

۞ قـــسم لا يـــؤذن لهم بالرجوع للخلق وإرشادهم بل يسترهم الله عز وجل فى قباب حضرته ويختصهم لخدمته فلا يزالون فى المشاهدة إلى حين يلقوا الله بها.

۞ وقـــسم يؤذن لهم بالرجوع للخلق لأجل إرشادهم إلى معرفة الحق. وهذا القسم أرقى لأن نفعهم متعد، بخلاف القسم الأول ؛ فإن نفعهم قاصر على أنفسهم. ويلزمهم التستر عن الخلق والفرار منهم، والقسم الثاني بالعكس، ومتى دخـــل السالك فى هذا المقام يبشر بالخلافة. وعند إتمامه يخلع عليه خلعها فإذا ظهـــر له ذلك وتمت له التجليات القيومية وظهر له نورها الأسود يلقنه الأستاذ الاسم السابع.

الفصل السابع
في
النفس الكاملة
وأخذ الخلافة، ولبس التاج والخرقة

وهـــى أشرف دوائر النفوس، وقد تقدمت صفاتها، ولها في كمال اللطافة والنورانـــية، فهي لطيفة ربانية، ومظهر أخلاق الله، ومنبع أسراره، وهى عارفة مالها وما عليها من آداب العبودية ومخالفاتها، ولها الفناء والبقاء والشهود والدوام، ولها الترقي، والتدلي، وشهود الوحدة في الكثرة والكثرة فى الوحدة.

وســـيرها: بالله.

وعـــالمها: الكثرة مع الوحدة.

وواردهـــا: جمع الجمع.

وحـــالهـــا: البقاء.

ومحـــلها: الأخفى.

ولا نور لها لانطماس نورها بنور الله عز وجل.

واسمهـــا: قهار. وكيفية الذكر به أن يأخذه الذاكر من الأخفى من وسط الصدر، ويجره إلى لسانه مع مراعاة مخارج حروفه ويخفض رأسه إلى صدره عند الأخذ، ويرفعه عند إخراجه إلى جهة الفوق، ويلاحظ معناه بأنه واجب الوجود المتصف بكل موجود. فإن داوم الذاكر على ذكره بهذه الكيفية يتجلى له القهار بصفة القهر فيحترق بأنوار ذلك التجلي ما فيه من بقايا الحجب الكونية والآثار البـــشرية، حـــتى يتمكن في مقام البقاء بالله ويرى تلك الأنوار فى باطنه وظاهرة فتكون حينئذ نفسه روحا نورانياً صافيا خالصا لله عز وجل، ولو أراد بعد ذلك أن يقيدها بجلابيب البدن فلا يمكنه، وتكون تجليات الحق سبحانه وتعالى متوالية علـــيه، ويتصرف بعد ذلك بجميع الأسماء الحسنى، ويتصرف في الولاية الكبرى، ويـــؤذن بـــالأذن المطلـــق لتربية الخلق على العموم، ويكون صاحب الشريعة والطـــريقة، والحقـــيقة علـــى الاستقبال ويكون مظهر الحقيقة المحمدية والخلافة الـــربانية. فيأذن له الأستاذ الإذن المطلق وينصبه خليفة لتربية الناس وردهم إلى الحقيقة وإيصالهم إلى الله عز وجل على الكشف والعيان، من غير فكر، ولا دليل، وبـــرهان. ويعطـــيه الـــتاج المعنوي، والخرقة المعنوية، ويجلسه على السجادة للإرشاد.

ثم اعلـــم أن التاج والخرقة على قسمين: " **صوري ومعنوي** ".

أمـــا **التاج المعنوي**: هو الانقياد التام لأحكام الله والاستسلام لطاعته من غـــير مـــنازعة النفس وأما **الخرقة المعنوية**: فالتحلق بأخلاق الله مع المظهرية بتجليات الله تعالى.

وأمـــا الـــتاج الـــصوري: فهو الذي اختاره المرشدون مما يلبسونه على رؤوسهم من القلنسوة المخصوصة المشكلة بأشكال مختلفة على حسب اصطلاح أهل الطريق والحقائق.

وأما الخرقة الصورية: هي لباس الفقر الذى يلبسه الصوفية فهو ممن ألبسه الله عــز وجــل، وهــى ذات القطع، وإنما يلبسها الصوفية لدلالتها على التاج المعنوي والخرقة المعنوية فكان لباسهما سُنَّة عند المشايخ لأن عندهم رواية: أن جبريل (عليه السلام) أتى بتيجان وخلع من ألبسة الجنة إلى رسول الله (صلى الله علــيه وسلم) فألبسها للخلفاء الراشدين ثم ألبسها الخلفاء لمن استخلف منهم، ثم تسلــسل ذلــك عن المشايخ. وكانوا يلبسونها للذين يستحقون الخلافة ويجوز لبسهما لمن أراد أن يتشبه بالصوفية للمحبة لهم للإرشاد فيحرم لبسهما، ثم لا بد لمن يلبس التاج والخرقة أن يعظمهما ويراعى حرمتها وأن يترك الدنيا بعد لبسهما لأنهمــا لــباس الفقير لا لباس الغنى، وأن لا يرتكب المعصية حال لبسهما، وأن يتــرك الأخــلاق الذمــيمة، ويتصف بالأخلاق الحميدة، وأن يشتغل بالرياضة والمجاهدة، وأن يلبسهما بالطهارة الكاملة بعد البسملة لأنهما لباس الصلحاء، وأن لا يدخل بهما بيت الخلاء وأن لا يجلس بهما في مجالس الفسق وموضع القذر.

وكيفية ألبساهما الشيخ للمريد أن يضعهما بين يديه وهو مستقبل القبلة، ثم يقرأ الفاتحة الشريفة، ويدعو للمريد. والمريد واقف على رجليه مكشوف الرأس ثم يجلس بين يدي الشيخ ويمد رأسه على الأرض ويكبر الشيخ ثلاث تكبيرات ويلبس التاج على رأسه.

وأمــا إلباس الخرقة فينــزع ما عليه من اللباس ثم يلبسه له من غير تكبير ولا يمــد رأســه على الأرض، ويستحب للشيخ عند ذلك أن يذكر نسبة التاج والخــرقة عــن الشيخ الفلاني وهو لبسها عن الشيخ الفلاني، وهكذا إلى سيدنا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ثم يقرأ الفاتحة لأرواحهم ولإخوانه والمسلمين.

دســـائس النفس ❁

اعلـــم يا أخي -وفقني الله وإياك لمرضاته - أن للنفس دسائس وحيلا في العبادات كثيرة سنذكر البعض منها مما حذرت منها الأشياخ فلا بد لك من معرفتها حتى تخلص عبادتك من الفساد، وتكون صالحة عن القول، ومرفوعة إلى الله بحسن القبول لأن الملائكة لا ترفع أعمال العباد إلا إذا كانت صالحة عن الفساد لقوله تعالى: ﴿ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّـٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ﴾ (فاطر/١٠) فإذا كان الأمر كذلك، فلا بد للعابد أن يزكى عبادته عن تلويث النفس، وإفسادها لأن النفس أعدى العدو، ومظهر الفساد والعند، ولم يسلم أحد من مكرها، ولا يأمن عاقل من ضررها وغدرها، ولو كان نبيا مؤيدا وحصورا وسيدا ؛ كما قال سيدي الصديق بن الصديق يوسف (عليه الصلاة والسلام): ﴿ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ ﴾ (يوسف/٥٣).

وفي الحديث الشريف: (أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك)[1].

❁ (العنوان من المحقق)، وكنت قد حققت منذ فترة طويلة مجموعة من الرسائل الصوفية: الأولى بعنوان:كشف اللبس عن دسائس النفس.تأليف: محمد أبو الحسن البكري الصديقي، وكشف اللبس عن تجريد النفس تأليف: أحمد شهاب الدين السبكي، وكشف اللبس في مناصحة النفس تأليف نور الدين علي المنير، وقد نشروا جميعا في مجلد واحد بعنوان: (رسائل في النفس). صدر عن الدار المصرية اللبنانية ١٩٩٠م .

(١) حديث: (أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك) أورده العجلوني في كشف الخفاء بلفظ: (أعدى أعدائك نفسك التي بين جنبيك) وقال:
رواه البيهقي في الزهد بإسناد ضعيف، وله شاهد من حديث أنس. وفي كنز العمال: (ليس عدوك الذي يقتلك فيدخلك الله به الجنة وإن قتلته كان لك نورا ولكن أعدى الأعداء نفسك التي بين جنبيك وامرأتك التي تضاجعك.)وقال:رواه العسكري في الأمثال عن سعيد بن أبي هلال، مرسلا. ورواه الديلمي في مسند الفردوس عن أبي مالك الأشعري، وما أحسن ما قيل

إني بليت بأربع ما ســـــلطوا ... إلا لأجل شقاوتي وعنـــــائي
إبليس والدنيا ونفسي والهوى ... كيف الخلاص وكلهم أعدائي

ثم اعلـــــم أن دسائس النفس لا تعد ولا تحصى لنكارتها، وخفائها، ولا يعرفها إلا العباد المخلصون وأصحاب الكشف العارفون الكاملون.

- **فمـــن دسائـــسها:** اســتحلاؤها بالعبادة لموافقة تلك العبادة لها، أو لملاحظـــة الوصول بها إلى غرض من أغراضها كالرئاسة، والشهرة، والثناء عليها بـــسبب تلـــك العبادة، وهذه الدسيسة أخفى دسائس النفس، وأضرها لأن أكثر العابـــدين لا يطلعون عليها ويعبدون الله مع هذه الدسيسة، ويتعبون في عبادتهم ويـــبعدون بهـــا عن الله تعالى قال (صلى الله عليه وسلم): **(تعس عبد الهوى)**[1] فالعابـــد بهـــذه الدسيسة يداوم على عبادته طول عمره ويحسب أن استحلاءه بالعـــبادة من كمال الإخلاص، ولو راجع نفسه فى ذلك تقول له أنت مخلص فى عـــبادتك، فلـــو لم تكن مخلصا بها مادمت على إقامتك عليها طول عمرك وهو يصدقها فى ذلك، ويثبت في عبادته بسرور قلبه ويضيع عمره فى عبادة هواه، ولا يكـــون لـــه فى عبادته شيء من الثواب، وإنما يكون له فيها الإثم والعذاب فهذه الدسيـــسة تلبس على ضعفاء العباد من أهل الحظوظ والأغراض، ولا يعرفها إلا

=

انظر: العجلوني: كشف الخفاء: ١/١٥٩ الحديث رقم (٤١٢)،والمتقي الهندي في كنز العمال ٤/٧٤٥ الحديث رقم (١١٢٦٣). و الحديث رقم (١١٢٦٤).

(١) حديث: (تعس عبد الهوى).

لم يُعرف بهذا اللفظ وإنما المعروف: فعن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:(تعس عبد الدينار وتعس عبد الدرهم وتعس عبد الخميصة إن أعطي رضي وإن منع سخط تعس وانتكس وإذا شيك فلا فانتقش. طوبى لعبد أخذ بعنان فرسه في سبيل الله أشعث رأسه مغبرة قدماه إن كان في الحراسة كان في الحراسة وإن كان في الساقة كان في الساقة إن شفع لم يشفع وإن استأذن لم يؤذن له)..قلت: رواه البخاري خلا من قوله: " طوبى لعبد " إلى آخره، فرواه تعليقا.

رواه الطبراني في الأوسط ورجاله رجال الصحيح.انظر الهيثمي: مجمع الزوائد:١٠/٤٦٧ الحديث رقم (١٧٩٢١). والمتقي الهنـــدي في كنز العمـــال: ٣/٣٧٢ الحديث رقـــم (٦١٧٠) وقال رواه البخاري، والبيهقي، عن أبي هريرة (رضي الله عنه) وانظر أيضا العجلوني في كشف الخفاء: ٢/٣٦٥ الحديث رقم (٩٩٤).

الزاهدون عن الدنيا والآخرة ولا يطلع عليها إلا العارفون بسر الإخلاص فلا بد لمـن لا يعرف كيفية الإخلاص أن يحترز عن العبادة التي تستحليها نفسه لكي يخلـص من عبادة هواه لأن الهوى أقبح ما عبد من دون الله[١] وأبغض آلهة عند الله.

قـال أبـو الحسن الشاذلي[٢] (قدس الله سره) أقبح الذنوب تعلق النفس بالعبادات واسحلاؤها.

- **ومن دسائسها:** اعتبارها بالعبادات بأن يلاحظ امتثال أمر الله واكتساب رضاه تعالى ويكون غافلا عن الله عند أدائها وساهياً في أركانها وآدابها فتكون

---

(١) في هذا الكلام إشارة أيضا إلى حديث: ٨٩٥ - وعن أبي أمامة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:(ما تحت ظل السماء من إله يعبد من دون الله أعظم عند الله من هوى متبع). رواه الطبراني في الكبير وفيه الحسن بن دينار وهو متروك الحديث. انظر الهيثمي: مجمع الزوائد: ١/٤٤٧ الحديث رقم (٨٩٥) وانظر كذلك حديث: وعن أبي الأعور السلمي قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (إن أخوف ما أخاف على أمتي شح مطاع وهوى متبع وإمام ضال) رواه الطبراني والبزار وفيه من لم أعرفه انظر الحديث رقم (٩٢١٩).

(٢) (أبو الحسن الشاذلي): (٦٥٦ هـ = ١٢٥٨ م)هو: علي بن عبد الله بن عبد الجبار الشاذلي، نسبة إلى شاذلة قرية من افريقية، الضرير، نزيل الإسكندرية (نور الدين، أبو الحسن) صوفي، فقيه، ناظم، شاعر، تنسب إليه الطريقة الشاذلية، وتوفي بصحراء عيذاب قاصدا الحج، فدفن هناك في ذي القعدة. من تصانيفه: الاختصاص من القواعد القرآنية والخواص، رسالة الأمين لينجذب لرب العالمين، السر الجليل في خواص حسبنا الله ونعم الوكيل المسمى بالجواهر المصونة واللآلي المكنونة، كفاية الطالب الرباني لرسالة أبي زيد القيرواني المالكي، والمقدمة العزية للجماعة الأزهرية وكلاهما في فروع الفقه المالكي. ابن الملقن: طبقات الأولياء ٣٥ / ٢، ٣٦ / ١، الصفدي: الوافي ١٢: ٩٢ فهرس المؤلفين بالظاهرية، الشعراني: الطبقات ٢: ٥ - ١٧، حاجي خليفة: كشف الظنون ٤٠٤، ٦٦١، ٦٦٢، حسن الكوهن: جامع الكرامات ١٥ - ٥٨، محمد الفاسي: مناقب أبي الحسن الشاذلي، علي سالم عمار: أبو الحسن الشاذلي، البغدادي: هدية العارفين ١: ٧٠٩: ٧١٠، الزر كلي: الأعلام ٥: ١٢٠.

العبادة كالعادة حتى تضطرب نفسه إذا تركها وتستريح إذا فعلها كسائر العادات إنما يفعلها المرء لراحة نفسه وأكثر من ابتلى بهذه الدسيسة العوام ؛ لأنهم يصلون ويصومون باعتياد أنفسهم عليها على ما رأوها من إبائهم وعلمائهم من حال صغرهم ولا يخطر فى بالهم امتثال أمر الله تعالى ولا عبوديته لأنهم غافلون عن ذلك فما جزاؤهم فى تلك العبادة إلا عذاب أليم وويل عظيم قال تعالى: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝ الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝ ﴾ (سورة الماعون/٤، ٥).

- **ومن دسائسها**: الاشتغال بعبادة لا تطيق المداومة عليها، ولما تشتغل بها أياما قليلة تتركها وتترك معها غيرها من العبادات، فيكون صاحبها ضالا عن الصراط المستقيم وأكثر من يقع بهذه الدسيسة أهل الطريق لأن نفوسهم تريد أن تقطعهم عن العبادة فلا تقدر عليهم إلا بأن تكلفهم من العبادة بما لا يطيقون فلما تكلفهم بها نفسهم ويشتغلون به يعسر عليهم فعل ذلك فيتركون العبادة بالكلية ويكونون من المعطلة. قال (صلى الله عليه وسلم): **(لا تشادّوا هذا الدين فإنه متين من يشاده يغلبه، ولا تبغضوا لأنفسكم عبادة الله، خذوا من العبادة بقدر ما تطيقون، وإياكم أن يتعود أحدكم عبادة ثم يرجع عنها)**[1].

(١) حديث: (لا تشادوا الدين) ورد هكذا: (المنبت لا أرض قطع ولا ظهرا أبقى رواه البزار والحاكم في علومه والبيهقي وابن طاهر وأبو نعيم والقضاعي والعسكري والخطابي في العزلة عن جابر مرفوعا بلفظ أن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق ولا تبغض إلى نفسك عبادة الله فإن المنبت لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى واختلف في إرساله ووصله، ورجح البخاري في تاريخه الإرسال.وأخرجه البيهقي أيضا والعسكري عن عمرو بن العاص رفعه لكن بلفظ فإن المنبت لا سفرا قطع ولا ظهرا أبقى وزاد فاعمل عمل امرئ يظن أن لن يموت أبدا واحذر حذرا تخشى أن تموت غدا وسنده ضعيف. وله شاهد عند العسكري عن علي رفعه: (إن دينكم دين متين فأوغل فيه برفق فإن المنبت لا ظهرا أبقى ولا أرضا قطع) وفي سنده الفرات بن السائب ضعيف وهذا كالحديث الآخر الذي أخرجه البخاري وغيره عن أبي هريرة: (أن هذا الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا أغلبه) وروى أحمد عن أنس بلفظ: (أن هذا الدين متين فأوغلوا فيه برفق) وليس فيه الترجمة.وروى الخطابي في العزلة عن ابن عباس قال ما أمر الله عباده بما أمر =

- ومن دسائسها: أن يعبد الله للتقرب إليه والتعزز به تعالى، فالعبادة بهذه الدسيسة لحظوظ النفس لأن النفس تنحط بالتعزز والتقرب إلى الله تعالى، لتتكبر بذلك على الخلق فكل عبادة تكون لتقرب النفس إلى الله وتعززها ليست بعبادة خالصة لله تعالى بل إنما هي لحظوظ النفس فمعبوده في الحقيقية حظ نفسه فلا بد للعابد أن لا يقصد بعبادته إلا تعظيم الله تعالى، ورضاه وإقامة عهوده، وحفظ حدوده، وفناء وجوده بعبادة معبوده ؛ حتى تكون خالصة لله تعالى مقبولة عند حضرته عز وجل قال تعالى ﴿ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ﴾ (الزمر/٣) ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ (البينة /٥).

- ومن دسائسها: أن يعبد الله لأجل الكرامة، والأحوال، وهذه العبادة لحظ النفس لأن النفس تريد أن تكون ممتازة بالكرامة والأحوال بين الناس، وهذه الدسيسة عقبة صعبة لا يعبر منها السالكون إلا بإعانة الشيخ لهم أو بإعانة النجدة الإلهية، ومنشأ هذه الدسيسة حب الرياسة والشهرة. فلا بُدَّ للسالك أن يطهر نفسه من حب الرياسة والشهرة فإذا ظهرت فى السالك هذه الدسيسة فليستغفر الله من عبادته وليقل لنفسه الذكر بهذه العبادة تستحق العقوبة لا الكرامة.كما قال الشيخ الجنيد (قدس الله سره): طلب المغفرة عن العبادة أقرب من طلب العوض والكرامة.

- ومن دسائسها: الاعتناء بالعبادات و الإعجاب فيها، والسرور بفعلها.

إلا والشيطان فيه نزعتان فإما إلى غلو وإما إلى تقصير فبأيهما ظفر قنع. انظر: العجلوني: كشف الخفاء: ٢/١٣٦٦ الحديث رقم (٢٣٣٩) .
أما الجزء الأخر من الحديث فإنه ورد: عن أبي أمامة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (خذوا من العبادة ما تطيقون فإن الله لا يسأم حتى تسأموا) وقال: رواه الطبراني في الكبير وفيه بشر بن نمير وهو ضعيف. وعن عمران بن حصين عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: عليكم من العمل بما تطيقون فإن الله لا يمل حتى تملوا) رواه الطبراني في الكبير وإسناده حسن. انظر: الهيثمي في مجمع الزوائد: ٢/٥٣٣، ٥٣٤ الحديث رقم (٣٥٦٤) و (٣٥٦٥).

فالعبادة بهذه الدسيسة أقبح من المعصية التي تحصل بها الندامة، لأن تلك المعصية توجب الرجوع إلى الله عز وجل، ولا يمكن للعابد إزالة هذه الدسيسة إلا بمعاداة نفسه وهواه واتهامها فى كل حال، والخشية من الله فى حال عبوديته لكونه مقصرا فيها.

قال بعض العارفين: إن لم تخش أن يعذبك الله بأفضل أعمالك فأنت هالك.

- **ومن دسائسها:** الأمن من مكر الله، ولو يعبد الله ألف سنة بجميع العبادات ﴿ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾ (الأعراف /٩٩).

فاحذر يا أخي منها بأن تقول لك إن الله يرحم الفاسقين والفجار، فكيف لا يرحمك وأنت مشغول بعبادته أناء الليل والنهار، فتأمن مكر الله فتنقلب على عقبيك وتكون من الهالكين، لأن هذه الدسيسة خطر عظيم هلك بها كثير من العباد.

- **ومن دسائسها:** أن يعبد الله رجاء الجنة أو خوفا من النار. ومن يعبد الله بهذه الدسيسة فقد تبعده عن الله حسنته لأنه لا يقنع عن الله بما دونه ويخاف مما سواه إلا كل ناقص فالعبد الخالص لا يرجو لعبوديته إلا الله تعالى ولا يخاف أحدا سواه وهذه الدسيسة تنشأ عن الجهل بالله والنظر إلى ما سواه. قال تعالى في بعض الكتب المنزلة: (فمن أظلم ممن عبدني لجنة أو نار أو لو لم أخلق جنةً ولا ناراً لم أكن أهلا لأن أطاع ؟!).

- **ومن دسائسها:** أن يقصد بالعبادة اقتداء الناس به فيها، وهذه الدسيسة أيضا تنشأ من حب الرياسة، والشهرة، وإقبال الناس إليه. فلا بُدَّ للسالك أن يلازم الخمول والاكتتام ويحترز من التعين والاحتشام حتى يحصل له الأنس مع الله والشوق إلى لقائه كما قيل من استأنس مع الحق استوحش من الخلق.

- **ومن دسائسها:** أن يطلب الأجور من الله تعالى على العبادة، وأكثر الناس مبتلون بهذه الدسيسة. وإنما تنشأ هذه الدسيسة من استعظام العبد عبادته واستحسانها وعدم علمه بأن الله لا يضيع أجر عبادة عبده فلا بُدَّ للسالك أن يعبد

الله مـــن غـــير مقابلة الأجور والأعواض لأنه لا يطلب ذلك على العبادة إلا كل محجـــوب عن الله، وكل بعيد من مقام الأدب فمن يعرف الله بكمال المعرفة فلا يطلب من الله إلا العفو من تقصيراته فيها ويعتذر لقبولها. فينبغي للسالك أن يعبد الله رغـــبة ورهبة لا طلبا للأجور قال الله تعالى فى بعض الكتب المنزلة: (إن أودُّ الأودَّاء إليّ من عبدني لغير نوال لكن ليعطى الربوبية حقها).

- ومن دسائسها: التسويف في العبادة بأن يقول: إنما أعمل في المستقبل. يقـــول مثل ذلك إلى أن يموت بلا عمل ويكون فى الآخرة من الخاسرين، فلا بُدَّ للـــسالك مـــن المسارعة في العبادة لأن شروط الطريق مبنية على الاستعجال فى العـــبادة ولا ينبغـــي أن يقول سوف أعمل كذا لأن الوقت كالسيف يقطع عمر الإنسان ولا يدركه قال (صلى الله عليه وسلم): (**هلك المسوفون**) [1].

- ومن دسائسها: أن يعاهد الله أن يعمل كذا وكذا من العبادة العظيمة والرياضات الشاقة فلما يباشرها ولم يقدر عليها، ينكث عهده، وينقض ميثاقه، ويكون مسئولا عنه فى الآخرة[2] وممقوت به عند الله قال تعالى: ﴿ كَبُرَ مَقْتًا

---

(١) حدثنا عبد الله حدثني أبو داود المباركي سليمان بن محمد ثنا أبو شهاب عن شعبة عن الحكم عن أبي المورع عن على قال: كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في جنازة فقال من يأتي المدينة فلا يدع قبرا الا سواه ولا صورة الا طلخها ولا وثنا الا كسره قال فقام رجل فقال انا ثم هاب أهل المدينة فجلس قال علي رضي الله عنه فانطلقت ثم جئت فقلت يا رسول الله لم ادع بالمدينة قبرا الا سويته ولاصورة الا طلختها ولا وثنا الا كسرته قال فقال من عاد فصنع شيئا من ذلك فقد كفر بما أنزل الله على محمد يا علي لا تكونن فتانا أو قال مختالا ولا تاجرا إلا تاجر الخير فإن أولئك هم المسوفون في العمل)وهذا الحديث يشير إلى ان المسوف المشار إليه هنا مثله مثل الهالك، ولم أقف على رواية بنصها هكذا. تعليق شعيب الأرنؤوط: إسناده ضعيف.

انظر: مسند احمد بن حنبل:١/١٣٨ الحديث رقم (١١٧٠).

(٢) ولذلك فإن مشايخنا أكرمهم الله تعالى علمونا استغفارا ينفع فيما يحدث للإنسان من هذه الأمور.

ففيه: «اللهم إني أستغفرك لما تبت إليك منه ثم عُدتُ فيه، وأستغفرك لما وعدتك من =

عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ﴿٣﴾ (الصف/ ٣).

– ومن دسائسها: المسارعة إلى العبادات النافلة مع التكاسل في العبادات المفروضة فالسبب في ذلك أن الفرائض بتكليف الله على عباده فالنفس لفرعونيتها لا تدخل تحت تكليف خالقها فلذلك تتكاسل في تأديتها، وأما العبادة النافلة فليست النفس مكلفة بها ولا محكومة عليها فلما تعمل بهواها واشتهائها فلذلك تسارع إلى فعلها.

قال الشيخ ابن عطا الله[1] (قدس الله سره) من علامات إتباع الشهوات

نفسي ثم أخلفتك فيه، وأستغفرك لما أردتُ به وجهك فخالطني فيه ما ليس لك، وأستغفرك للنعم التي أنعمت بها علي فتقويت بها على معاصيك، وأستغفر الله العظيم عالم الغيب والشهادة من كل ذنب أذنبته وكل معصية ارتكبتها، ولكل ذنب أحاط به علم الله» ملء ما علم، وعدد ما علم، وزنة ما علم. هذا الاستغفار قال سيدي أحمد التجاني رضي الله تعالى عنه: يسمى هذا الاستغفار باستغفار الخضر (عليه السلام)..

انظر: مجموعة أحزاب وأوراد القطب الصمداني، خاتم الأولياء سيدي أحمد بن محمد التجاني.

(١) (ابن عطاء الله): (٧٠٩ هـ =١٣٠٩ م) احمد بن محمد بن عبد الكريم بن عطاء الله الاسكندري، الجذامي، الشاذلي، الشهير بابن عطاء الله (تاج الدين، أبو العباس، وأبو الفضل) صوفي مشارك في أنواع من العلوم كالتفسير، والحديث، والفقه، والنحو والأصول. توفي بالقاهرة في جمادى الآخرة من مصنفاته: التنوير في إسقاط التدبير في التصوف، مفتاح الفلاح ومصباح الأرواح في ذكر الله الكريم الفتاح، لطائف المتن في مناقب الشيخ أبي العباس وشيخه ابي الحسن أصول مقدمات الوصول، والمرقى إلى القدير الأبقى. (خ) موسى الأيوبي. التذكرة ٥٨ / ٢، ٥٩ / ١، كتاب في التراجم ١٨ / ٢ عام ٤٦١٦، ظاهرية، فهرس المؤلفين بالظاهرية (ط) ابن حجر: الدرر الكامنة ١: ٢٧٣ – ٢٧٥، السبكي: طبقات الشافعية ٥: ١٧٦، ١٧٧، ابن العماد: شذرات الذهب ٦: ١٩، ٢٠، الشعراني: لواقح الأنوار ٢: ٢٧، ابن فرحون: الديباج ٧٠ – ٧١، الكوهن: جامع الكرامات ٩٧ – ٩٩، حاجي خليفة: كشف الظنون ٥٠٢، ٦٧٥، ١٥٥٤، ١٦٥٨، ١٧٦٩، البغدادي: إيضاح المكنون ١: ٩٣، ٢: ٤٦٩، فهرست الخديوية ٥: ١٢٢، الجفري: كنز البراهين ٣٣.

مسارعة النفس إلى النوافل والمستحبات والتكاسل بالفرائض والواجبات فمن كانت النوافل أهم إليه من الغرائض فهو مخدوع وممكور به.

- **ومن دسائسها**: أن يطلب العز والشرف عند الله تعالى بالعبادات وهذا يوجب البعد عن الله، ويقسى القلوب لأنه يلزم العبد أن لا يطلب إلا التذلل والتحقر والفناء في العبادات حتى يكون مقربا ومحبوبا عند الله، وسبب ذلك قيام النفس على جبلتها وعن محبوبيتها عن رعونتها فلا بُدَّ أن يزيل عنها هذه الصفات بتذليلها وتحقيرها وفنائها حتى لا تطلب بعبادتها عزة عند الله قال الشيخ على الخواص[1] (قدس الله سره): " سبب القسوة التي يجدها العابد فى قلبه حين صلاته، ودعائه، ومراقبته قيام العزة والفناء فيه. فإن حضرة الله تعالى لا يدخلها من تلبس بأحد هذين الوصفين ".

والحاصل لا بُدَّ لكل أحد أن يعبد إجلالا، وامتثالا[2]، ورغبة، ورهبة،

---

(١) (الشيخ علي الخواص): هو الشيخ الفاضل علي البرلسي المعروف بالخواص. شيخ الإمام عبد الوهاب الشعراني رضي الله عنهم جميعا، وهو أحد أكابر العارفين، وأعيان الأولياء والأصفياء شيخ الإمام عبد الوهاب الشعراني، كان أميا لا يقرأ ولا يكتب وكان يتكلم على معاني القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف أبلغ من المتعلمين، وكان كلامه نفيسا جدا. كان يقول: لو وُلِّي الخضر أو القطب شيئا من ولايات هذا الزمان، ما أمكنه أن يفعل بالناس إلا ما يستحقونه، إنما هي أعمالكم ترد عليكم. إذا كان هذا كلامه في القرن العاشر، بل في اوله فكيف بأهل القرن الخامس عشر. قال النبهاني نقلا عن صاحب المنن: رأيته - أي سيدي علي الخواص - نزل سلم المقياس لما توقف النيل عن الزيادة فتوضأ، وصار الماء يتبعه، فزاد في ذلك اليوم ذراعا. مات رضي الله تعالى عنه سنة تسع وثلاثين وتسعمائة ودفن بزاوية بركات خارج باب الفتوح.انظر: المناوي الكواكب الدرية: ٤/٩٠، الشعراني: الطبقات الكبرى ٢/١٤٧، درر الغواص في فتاوى سيدي علي الخواص المقدمة، شذرات الذهب لابن العماد: ٨/٢٣٣، النبهاني: جامع كرامات الأولياء: ٢/٣٧١.

(٢) وهذا بيان قوله (صلى الله عليه وسلم) ١٠٨٤ - لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به. الحكيم وأبو نصر السجزي في الإبانة وقال حسن غريب والخطيب عن ابن عمرو.

وإنابة، ومتابعة لرسول الله (صلى الله عليه وسلم) وأن يجرد نفسه عند العبادات عـــن الصفات الرذيلة والأغراض الفاسدة، وأن يكون خاضعا، خاشعا، مراقبا، حاضرا، محسنا، على مضمون الحديث قال (صلى الله عليه وسلم): (الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك) [1].

تنبيـــه وإيضـــاح

اعلـــم يا أخي أن العاقل من يعادي نفسه وهواه وشيطانه فقط، لأنه لا يوقع الإنسان فى النيران إلا النفس والهوى والشيطان. وما سوى هؤلاء ؟ ليسوا

انظر: المتقي الهندي: كنز العمال ٣٣٧/١ الحديث رقم (١٠٨٤).

(١) حديث: (الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه.....) وعن ابن عمر قال: أتى ابن عمر رجل فقال: يا أبا عبد الرحمن إنا نسافر فنلقى أقواما يقولون: لا قدر قال: فإذا لقيت أولئك فأخبرهم أن ابن عمر منهم بريء كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ أتاه رجل حسن الوجه طيب الريح نقي الثوب فقال: السلام عليك يا رسول الله أدنو منك؟ قال: " ادنه " فدنا دنوة قال ذلك مرارا حتى اصطكتا ركبتاه بركبتي النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله ما الإسلام ؟ قال: " شهادة أن لا اله إلا الله وأن محمدا رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة. وحج البيت وصيام رمضان والغسل من الجنابة " قال: فإذا فعلت ذلك فأنا مسلم ؟ قال: " نعم " قال: صدقت فما الإيمان ؟ قال: " الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله والجنة والنار والقدر خيره وشره حلوه ومره من الله " قال: " فإذا فعلت ذلك فأنا مؤمن ؟ قال: " نعم " قال: صدقت فما الإحسان ؟ قال: تعبد الله كأنك تراه فإن تكن لا تراه فإنه يراك ". قال: فإذا فعلت ذلك فأنا محسن ؟ قال: " نعم " قال: صدقت قلنا: ما رأينا رجلا أطيب ريحا ولا أشد توقيرا للنبي صلى الله عليه وسلم وقوله للنبي صلى الله عليه وسلم صدقت فقال النبي صلى الله عليه وسلم: " علي بالرجل " فقمنا وقمت أنا إلى طريق من طرق المدينة فلم نر شيئا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " هل تدرون من هذا ؟ " قالوا: الله ورسوله أعلم قال: " هذا جبريل يعلمكم مناسك دينكم ما جاءني في صورة قط إلا عرفته إلا في هذه الصورة" ..رواه الطبراني في الكبير ورجاله موثقون.وله روايات أخرى كثيرة انظرها في مجمع الزوائد المجلد الأول. انظر: ابن حجر الهيثمي: مجمع الزوائد: ١٩٤/١ الحديث رقم (١١٥).

بأعداء لأنه لا ينالك من عداوتهم، إن صبرت على أذاهم، إلاّ رفعة وشرفا وقربة ووصلة وثوابا وحسن مآب. فعلى هذا هؤلاء ليسوا بأعداء بل أحبّاء، لكونهم كانوا سببا لإيصالك هذا الخير العظيم فحينئذ ينبغي لك الصفح والعفو عنهم والتجاوز عن ذنوبهم بالمسامحة لهم، والاستغفار لهم في الليل والنهار ووقت الأسحار، لكي تنجو من العقوبات العظيمة والأحوال الجسيمة ولئلا تكون أنت السبب فى عقوبة إخوانك المسلمين لكونهم ما فعلوا معك إلا الطيب. لقد أهدوا إليك نفيس ما عندهم وهى الحسنات وأخذوا منك أبخس ما عندك وهى السيئات، فقابل نظير صنيعهم هذا بالغفران ﴿ هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ ۝ ﴾ (الرحمن/٦٠) ومع ذلك فلا يفوتك شيء مما عده الله لك نظير ذلك من الثواب والدرجات العلى فى الجنة وحسن المآب قال تعالى: ﴿ وَأَن تَعۡفُوٓاْ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۚ وَلَا تَنسَوُاْ ٱلۡفَضۡلَ بَيۡنَكُمۡۚ ﴾ (البقرة/٢٣٧).

﴿ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَكُمۡۗ ﴾ (النور/٢٢) ﴿ فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ ﴾ (الشورى /٤٠) ﴿ وَلَا تَسۡتَوِي ٱلۡحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُۚ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ ۝ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٖ ۝ ﴾ (فصلت /٣٤، ٣٥) إلى غير ذلك من الآيات وقال (صلى الله عليه وسلم): (**الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من فى الأرض يرحمكم من فى السماء**)[1] وأي رحمة أكبر من العفو والمسامحة عمن ظلمك من إخوانك المسلمين خشية أن يعذبهم الله بسببك فهذا مشهد الأنبياء

---

(١) حديث: (الراحمون يرحمهم الرحمن تبارك وتعالى ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء، والرحم شجنة من الرحمن فمن وصلها وصله الله ومن قطعها قطعه الله) أورده صاحب كنز العمال وقال: رواه أحمد بن حنبل في مسنده، وأبو داود، والترمذي، والحاكم في المستدرك،كلهم عن ابن عمر رضي الله عنهما. ورواه أيضا أحمد بن حنبل، والترمذي، والحاكم. انظر: ابن المتقي الهندي: كنز العمال: ٣٠٣/٣ الحديث رقم (٥٩٦٩).

والمرسلين عليهم الصلاة والسلام، والأولياء، والأصفياء الكرام بطريق الوراثة عنهم لهذا المقام فينبغي لمن يسلك مسلكهم ويقتفى أثرهم أن يشهد مشهدهم ويتخلق بأخلاقهم لكي يكون منهم ؛ لأن من سلك مسلكهم، واقتفى أثرهم وشهد مشهدهم وتخلق بأخلاقهم فهو منهم من غير شك ولا ريب، ومن لم يكن فيه هذه الأوصاف فهو بعيد عنهم بلا خلاف ومن كان بعيدا عنهم فهو بعيد عن الله ولو أحيا الموتى، وأمات الأحياء، وطار في الهواء، ومشى على الماء[1]، ولا سبيل إلى الوصول إلى هذا المقام إلا بمعاداة النفس والهوى وذبح الغلام ولا تقدر على ذلك إلا بالذكر المدام بالأسماء التي تلقنتها من الشيخ الهمام بالشروط السابقة والأركان والآداب والأحكام.

خـــــاتمة

نسأل الله حسنها

في

تعريف الإرادة والمريد والمراد

وبيان الاحتياج في الوصول إلى الله تعالى.

اعـــلم أن الإرادة لوعة فى القلب تحصل من تصور الكمال الذاتي، وينشأ مــــن تلـــك اللـــوعة طلب الحق تعالى. والإرادة أول مرتبة للسلوك وسببه، لأن السلوك لا يوجد إلا بالإرادة.

وقـــيل: الإرادة تـــرك المريد إرادته فى إرادة شيخه، والانقياد إليه في كل زمان، وعلى أي حال كان[2]. ونهاية الإرادة الوصول إلى الله سبحانه وتعالى.

---

(١) المقصود هنا بكلام المؤلف أن الطريق إلى الله تعالى ليس بدعا، ولا فعل خوارق مما ذكر، ولا كلاما طيبا وإنما أصل الطريق تحمل الأذى و المشاق عن الخلق سواء كان هذا الأمر معك أو مع غيرك فتحملهم لله واجب طبيعي، يعلى من شأن الأخلاق عند طالب القرب من الله تعالى، والدليل على الاستقامة. بالإضافة إلى ما يقوم به من أعمال الخير.

(٢) يقول ابن عربي عن الإرادة: الإرادة عند القوم لوعة يجدها المريد من أهل هذه =

الطريقة تحول بينه وبين ما كان عليه مما يحجبه عن مقصوده.والإرادة عند أبي يزيد البسطامي ترك الإرادة وذلك قوله أريد. فأراد محو الإرادة من نفسه.وقال هذا القول في حال قيام الإرادة به ثم نمم، وقال: لأني أنا المراد وأنت المريد.يخاطب الحق. وذلك أنه لما علم أن الإرادة متعلقها العدم. والمراد لا بد أن يكون معدوما لا وجود له، ورأى أن الممكن عدم وإن اتصف بالوجود. لذلك قال: أنا المراد. أي أنا المعدوم، وأنت المريد. فإن المريد لا يكون إلا موجوداً. وأما الإرادة عندنا فهي قصد خاص في المعرفة بالله، وهي أن تقوم به إرادة العلم بالله من فتوح المكاشفة لا من طريق الدلالة بالبراهين العقلية فتحصل له المعرفة بالله ذوقاً، تعليماً إلهياً فيما لا يمكن ذوقه وهو قوله "واتقوا الله ويعلمكم الله" وقالت المشايخ في الإرادة: إنها ترك ما عليه العادة، وقد تكون عادة زيد ما هي عادة عمرو فيترك عمرو عادته بعادة زيد لأنها ليست عادة. ثم أعلم في مذهبنا أنك إذا علمت أن الإرادة متعلقها العدم وعلمت أن العلم بالله مراد للعبد، وعلمت أنه لا يحصل العلم به على ما يعلم الله به نفسه لأحد من المخلوقين مع كون الإرادة من المخلوقين لذلك موجود فالإرادة فيه أتم من كونها فيمن يدرك ما يريد فليست الإرادة الحقيقية إلا ما يدرك متعلقها فلا يزال عينها متصفاً بالوجود ما دام متعلقها متصفاً بالعدم. فإن الإرادة إذا وجد مرادها أو ثبت زال حكمها، وإذا زال حكمها زال عينها. وينبغي للإرادة فينا أن تزول فإن مرادها لا يكون. وأما من يتكون عن ارادته ما يريد فلا تصحبه الإرادة وجوداً، وإنما بقيت الإرادة هناك لأن متعلقها آحاد الممكنات وآحادها لا تتناهى فوجودها هناك لا يتناهى ولكن يختلف تعلقها باختلاف المرادات والذي يشير إلي أهل الله في تحقيق الإرادة أنها معنى يقوم بالإنسان يوجب له نهوض القلب في طلب الحق المشروع ليتصف به العمل ليرضى الله بذلك فيكون ممن رضى الله عنهم ورضوا عنه فصاحب الإرادة يسعى في أن يكون بهذه المثابة. ثم ما زاد على هذا مما يناله أهل الله من الفتوح والكشف والشهود وأمثال هذه الأحوال فذلك من الله ليست مطلوبة لصاحب الإرادة التي يقتضيها طريق الله إنما جل إرادتهم أن يكونوا على حال مع الله يرضى الله بأقوالهم وأفعالهم وأحوالهم إيثار الجناب الحق لا رغبة في نعيم ينالونه بذلك ولا فراراً من ضده دنيا ولا آخرة بل هم على ما شرع لهم ولله الأمر فيهم بما يشاء لا تخطر لهم حظوظ نفوسهم بخاطر هذا أتم ما توجبه الإرادة في المريد، وإن خطر لهم حظ في ذلك فما خرجوا عن حكم الإرادة. ولكن يكون صاحب الحظ النفسي ناقص المقام بالنظر إلى الأول مع كونه صاحب إرادة كما قال تعالى "ولقد فضلنا بعض النبين على بعض" من أن النبوة موجودة فما

قـــال الشيخ أبو على الدقاق[1] (قدس الله سره) نهاية الإرادة أن تشير على الله فتجده مع الإشارة. فالإرادة ثلاث درجات:

- ففـــي الدرجـــة الأولى: يخرج المريد من العادات إلى العبادات و من الواحات إلى المجاهدات.

- وفي الدرجة الثانية: يخرج من مقام التلوين إلى مقام التمكين، ومن مقام الفناء إلى مقام البقاء.

- وفي الدرجة الثالثة: يخرج من الصحو إلى مقام الحيرة، ومن مقام البقاء إلى مقام القدرة.

وأمـــا المـــريد فهـــو مـــن خالف نفسه وهواه وشيطانه، وترك شهواته ومألوفاته، وأقبل على طاعة ربه. فمن كان هذا لربه في سربه فيذوق حلاوة قربه،

زالوا من النبوة مع فضل بعضهم على بعض. وأما معنى قول الطائفة في الإرادة أنها لوعة يجدها المريد تحول بينه وينها كان عليه مما يحجبه عن مقصوده فصحيح غير أنه ثم أمر تعطيه المعرفة بالله إذا حصل له العلم بالله من طريق الكشف والتعليم الإلهي فلا يبقى شيء يتصف به العبد يحجبه عن مقصوده إذا كان مقصوده الحق فهو يشهده في كل عين وفي كل حال ولا ينال هذا المقام إلا من رضى الله عنه ومن علامات صاحب هذا المقام معانقة الأدب.

انظر ابن عربي في الفتوحات المكية ٥٢١/٢ وانظر أيضا مقام ترك الإرادة بعده.

(١) الشيخ أبو علي الدقاق: هو الحسن بن علي النيسابوري الشافعي، أبو علي الدقاق الأستاذ. هكذا يطلقون عليه لأنه كان مربيا للمريدين، لسان وقته وإمام عصره محمود السيرة والسريرة، له كرامات ظاهرة ومكاشفات باهرة. كان شيخ الإمام القشيري اورد كثيرا من أقواله في الرسالة. من كلامه النفيس:صاحب الحزن يقطع الطريق في شهر ما لا يقطعه غيره في عام. وقال: ليس الرضا أن لا تحس بالبلاء بل الرضا ان لا تعترض على الحكم والقضاء. وقال: الذكر أتم من الفكر لأن الحق تعالى يوصف بالذكر لا به. مات رحمه الله تعالى سنة ٤٠٦هـــ.

انظر ترجمته في: المناوي: الكواكب الدرية: ٦٢٣/١، شذرات الذهب لابن العماد: ٣/ ١٨٠، كحالة: معجم المؤلفين: ٢٦١/٣. الهجويري: كشف المحجوب ١٩٣.

ويحظى بوصل حبه، ويرويه من صرف شربه، ويكون محبوب ربه. ومن لم يكن هذا حاله فلا يرجى وصاله ولا تخلص من الدسائس أعماله.

وأما المراد: فهو على قسمين:

- قسم درج على طريق السلوك إلى ملك الملوك حتى أطلق الحر، وقيد المملوك ووصل إلى غاية الكمال وعرف الطريق وما احتوى عليه بالتفصيل والإجمال.
- وقسم جذبه الله وقرّبه لديه من غير استعداد يدنيه.

وهذا على قسمين:

۞ فالقسم الأول: يدرك ما فاته من أداء العبودية بمجاهدة ومكابدة قوية لأجل أن يعرف أحوال أهل الكمال، ويعرف أحوال الطريق بالتفصيل والإجمال، لأجل أن يرشد الخلق إلى الخالق، ويعرفهم كيفية قطع العلائق، ويعرفهم طريق الهدى ويدرأ عنهم كل من ضل واعتدى. فهذا القسم هو الكامل على التحقيق المكمل لغيره بالذوق والتفتيق ؛ فيمزق الحجب عن عين قلب المريد أكمل تمزيق.

۞ وأما القسم الثاني: فهو الذي لا يدارك نفسه بالسلوك على طريق المجاهدة فلا يؤخذ عنهم إلا للتبرك فقط لكونهم لا يعرفون الطريق ولا كيف أحوال أهل الفريق لكونهم سلكوا الطريق على سبيل الإجمال وما عرفوا الطريق وما حواه من الأهوال فما مثلهم إلا كمن كان فى مصر فما رأى نفسه إلا وهو فى دمشق الشام. فإذا سئل عن الطريق فيقول لا أعرفه علمي بنفسي إني في مصر فما رأيت نفسي إلا في دمشق الشام، أو كأعمى سلك بادية فإذا سألوه عن أحوالها وكيفيتها فهل عنده من ذلك خبر ؟

وهكذا أهل الجذب بل يخشى على هذا القسم من رؤية الكرامات وإقبال المخلوقات وبوس الأيادي وكثرة الجماعات أن يرجعوا إلى أسفل سافلين أعني للنفس الأمّارة فيهلكون مع الهالكين. وكلامُنا هذا في حق من رجع منهم للصحو.

وأما من دام على سكره تكفينا محبته والفرار منه.وأما القسم الثاني من قسم

أهل الجذب الذى نحن بصدده فلا يسلكون مريدا أصلاً وإذا سلك على أيديهم مريد فبحكم النادر ويكون أيضا بطريق الجذب والانسلاخ لا بطريق السير والسلوك. وطريق الجذب والانسلاخ لا يُعوَّل عليه عند القوم للسلوك لأن السالك فى الجذب لا يقدر يسلك مريداً ويعرفه عقبات الطريق وهفواته لأنه لا يعرف شيئا من ذلك.

فعلى هذا يا أخي إذا وجدت شيخ الجذب وشيخ السلوك فلا تأخذ إن أردت السلوك إلا من شيخ السلوك. وأما شيخ الجذب فلا تأخذ عنه إلا للتبرك ولكن بعدما تكمل تربيتك ويتم تتاجك وإلا فلا ولو فاق الأولين والآخرين فى الكرامات، وخرق العادات. وشيخ السلوك بضد ذلك، أعنى ما رأيت وسمعت عنه ولا كرامة واحدة فيكفيك منه معرفته بالطريق وأهواله وتسلك فيها على بصيرة قال الله تعالى: ﴿ قُلْ هَـٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ ﴾ (يوسف١٠٨) - أي قل يا محمد- فهم الخلق الراشدون، والأولياء الكاملون، العارفون بالطريق، وأهواله، وهفواته، وعقباته المميزون بين التجليات، المتحققون بتلك الحضرات، المشاهدون في كل الحالات الذين لا يحجبهم الخلق عن الحق، ولا الحق عن الخلق، ويكفيك من هؤلاء الاستقامة. فذرة من استقامة خير من ألف كرامة ؛ لأن الاستقامة لا يعطيها الله إلا لمن يحب، وأما الكرامة فيعطيها الله لمن يحب ولمن لا يحب.

<u>وأما شروط الشيخ على المريد</u>: لا تحصى كثرة فأشرح لك البعض منها.

- فمن شروط الشيخ على المريد أن يكون متأدبا معه، منقاداً له، مُسلِّما له جميع أقواله وأفعاله، حتى لو صدر منه ما يخالف ظاهر الشريعة، فلا ينكر عليه لا ظاهرا ولا باطنا، ولا يسأله عن ذلك. بل يجب عليه أن يقول الشيخ ما فعل هذا إلا لأمر يريده الله، وهو أدرى بذلك منِّى ؛ لأنه لو قال له:لم فعلت كذا حرم فضله. ولا يفلح أبدا، وأن يصدق في خدمته ظاهرا وباطنا، ولو أظهر له شيخه الكراهة، ولا يدخل عليه إلا بأذن منه فى الدخول، وإذا دخل عليه فلا يجلس إلا من بعد أن يأذن له، وأن يكون جلوسه فى حضرته كما فى الصلاة، ومغمضا

عينيه، مطرقا رأسه، خاشعا، خاضعا، ولا يلتفت يمينا ولا شمالا، ولا ينظر لوجه الشيخ أبدا، ولا يكلم لصيقه ولا يجب من سأله ولا من دعاه ولو أمه وأباه، لأن من يقصد وجه الحق تسقط عنه حقوق الخلق، ولا ينم له على وسادة، ولا يدس لـــه علـــى سجادة، ولا يلبس له قميصا، ولا يؤاكله على مائدة ما لم يأذن له فى جمـــيع ذلـــك، ولا يطلب منه تفسير رؤياه ؛ لئلا يكون الشيخ محكوما عليه ولا يمـــشى أمامـــه، ولا يوليه ظهره أبداً إلا أن يكون فى ليل، وبعد الإذن منه، ولا يـــساويه في الصلاة إلا فى الفرض، ولا يتزوج له امرأة، ولا يطلب منه تفسير أية أو حـــديث، ولا يعاشره ويتباسط معه، ويلزم الأدب معه. لأن من لم يتأدب فى حضرة الأشياخ يخشى عليه أن ينـــزع الله من قلبه نور الإيمان وحلاوته، ويكون ممقـــوتا عند الله مطروداً أولا يخالف قولا ولا يحتقر له عملا ؛ لأن نوم الشيخ خيـــــرٌ من قيام المريد، ولا يتكلم فى مجلسه إلا همسا، إذا كان له حاجة لا بُدَّ مـــنها، وإذا كلَّمـــه شيخه يجيبه بخفض صوته، ولا يرمى عليه سلاما، ولو أن الـــسلام ســـنة كيلا يكون الشيخ محكوما عليه برد السلام، ولكونه مشغولا في ورده، ولا يطلب منه الدعاء بلسانه بل بقلبه، ويكون بين يديه كالميت بين يدي الغاسل، وأن لا يذكر إلا بالاسم الذى تلقنه منه، ولا يهمل ما يقوله له، بل يجعله من قبيل المفروض عليه، ويحفظ قلبه من الخواطر السوء في حضرته، لأن ذلك يسوأه ويقطع المدد عنه، ويربط قلبه بقلبه لكي يحفظ منه تسويل النفس والهوى ونزيغ الشيطان، ويصونه من الخواطر السوء وكل ما يؤدى إلى الهوان، ولا يقل قد وصلت لمقام شيخي وسأزيد عليه ؛ فمن قال ذلك استولى عليه جهله ورجع إلى أسفل سافلين، فأين مقام الشيخ من مقامك يا مسكين لأن الشيخ مقامه لا يدركه المريد أبدا إلا إذا كان من طريق أخر على يد شيخ أخر بعد كماله على يد شيخه الأول فهذا ممن وافا على يد الشيخ الأول فلا يمكن لحوقه أبدا، فضلا عن كونه يـــزيد عليه. لأن الشيخ كلَّما رقى مريده مقاما يرقيه الله مقاما نظير مقام مريده،

وهكذا على ممر الأيام والشهور والأعوام [١].

فانظـــر يا مسكين كم للشيخ من مريد مثلك، وكم يرتقى مقامات، فمن قـــرب يقرب ومن قدم يقدم، ولا يجتمع المريد بشيخ آخر، مع وجود شيخه، وهـــذا في حـــق المبتدى. وأما المنتهى والمتوسط فلا يمنع من ذلك، ولا يجتمع بغـــير إخـــوانه، ويكـــون محبا لهم جميعا وأن يعفو عمن ظلمه منهم، وأن يقدم حاجـــاتهم على حاجاته، وأن يذب عنهم، ولا يوافق من يتكلم بما يشينهم، ولو كـــان وصَفَهم بما فيهم، ولا يعيـــرٌ أحدا منهم بذنب سلف منه ؛ إلا أن يكون مجاهرا به، ويقصد بذلك تخجليه وترجيعه عن ارتكابه ولا يعود لمثله، فمن كان هذا قصده فلا يضره التعيير والتوبيخ، بل هو مُثابٌ على ذلك، ومن لم يكن هذا قـــصده فهو مغتر به. فعدم التعيير والتوبيخ خير له، ومثله من يأمر بمعروف أو ينهـــى عن منكر إذا لم يقصد بذلك رجوع أخيه المسلم عن ارتكاب المعاصي لأجل أن يغفر الله له ويتوب عليه ويدخله الجنة. فلا يأمر بمعروف ولا ينهى عن منكـــر لأن أمـــره ونهيه لا يحصل لهما ثمرة لأنه ما قصد بذلك وجه الله تعالى وامتـــثال أوامره، بل قصد بذلك إظهار فضله وشرفه على أخيه المسلم، وتزكية نفـــسه وتحقـــير أخـــيه وازدرائه، ومن كان هذا قصده فلا يحصل له شيء من الـــثواب، بل يستدعى ذلك له الإثم والعذاب لأنه لا يزيد من نصحه إلا طغياناً كـــبيرا. فعلى هذا كل قول أو فعل، ولو كان ظاهرهما طاعته، إذا لم يقصد بهما وجـــه الله فـــلا ينتجان شيئا من الثواب بل ينتجان الإثم والعذاب وأن يساوى إخـــوانه في مالـــه إذا كان له مال، وإن شاطره أخوه فى جميع ما يملكه من الدنيا فلينشرح صدره.

حكى أن بعض الصحابة (رضي الله عنه) وكذلك بعض الصالحين (قدس الله أسرارهم) كانوا يخيرون أخاهم بين نسائهم فيقولون له إختر لنفسك واحدة

(١) وما ذكره المؤلف هنا قليل من كثير بالنسبة إلى فضل الشيخ على مريده، فهو نافعةُ لا محالة بفضل الله. فكم من اناس يأتيهم فضل الله تعالى ليل نهار ليس لهم شيخ فلم يستطيعوا الاقتراب منهم لجهلهم بالمعرفة بالله تعالى.

منهن حتى نخرج لك عنها، ونزوجك بها [1] فهكذا حالة المتحابين في الله تعالى الذين ذكرهم الله تعالى فى كتابه العزيز بقوله: ﴿ ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ۝ يَٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ۝ ﴾ (الزخرف ٦٧، ٦٨) فكونوا على مشربهم تكتبوا في جريدتهم وتكونوا من أهل السعادة فى الدارين وتطيب أنفسكم بما تشاهدون من جمال جلاله وجمال كماله وتقر منكم العين وإن لم تقدروا على ذلك فجاهدوا لأنفسكم لكمال المجاهدة لكي تنقاد إليكم وتألف المكابدة فتبلغوا هذا المقام الرفيع ويصير لكم حالا لا ينفك عنكم وترتقون عن المقام الوضيع فتصيرون من أهل الإرادة والمريدين والواصلين إلى مقام الشهود بحقيقة حق اليقين ولا بُدَّ أن تروا أنفسكم دون كل جليس كيلا تطردوا عن حضرة الله تعالى كما طرد إبليس لأن من لم ير نفسه دون كل جليس فهو دون كل جليس فيمتد من العارفين كمال الآداب ومن الجاهلين الذل والوقوف على الباب ومن أهل الزهد زهدهم ومن أهل الورع

---

(١) ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝ ﴾ (الحشر/ ٩).

وقوله: ﴿ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ ﴾ يقل جل ثناؤه: ولا يجد الذين تبوءوا الدار من قبلهم وهم الأنصار في صدورهم حاجة يعني حسدا مما أوتوا يعني مما أوتي المهاجرون من الفيء وذلك لما ذكر لنا من أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قسم أموال بني النضير بين المهاجرين الأولين دون الأنصار إلا رجلين من الأنصار أعطاهما لفقرهما وإنما فعل ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة .

عن أبي هريرة قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم ليضيفه فلم يكن عنده ما يضيفه فقال: ألا رجل يضيف هذا رحمه الله ؟ فقام رجل من الأنصار يقال له أبو طلحة فانطلق به إلى رحله فقال لامرأته: أكرمي ضيف رسول الله صلى الله عليه وسلم نومي الصبية وأطفئي المصباح وأري بأنك تأكلين معه واتركيه لضيف رسول الله صلى الله عليه وسلم ففعلت فنزلت ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ . انظر: تفسير الطبري: تفسير الآية ٩ من سورة الحشر، وانظر كذلك مفاتيح الغيب للرازي، وتفسير ابن كثير.

ورعهم ومن أهل الصلاح صلاحهم ومن أهل الخشوع خشوعهم ومن أهل الخضوع خضوعهم ومن أهل الدموع دموعهم ومن أهل حسن الأخلاق حسن أخلاقهم ومن أهل الفساد اجتناب فسادهم ومن أهل العناد ترك عنادهم ومن أهل التكبر ترك تكبرهم ومن أهل العجب اجتناب عجبهم ومن أهل الذنوب اجتناب ذنوبهم ويمتد ذلهم وانكسارهم وخوفهم من ربهم الى غير ذلك من قبيل ما هنالك بل يمتد من جميع عالم الإسكان من كل ذرة من سائر الأكوان فتكون له فى مرتبة الشيخ الكامل فهذا ﴿ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾ (ق/٣٧) لا لمن كان فى القلب غافلا.

فانظر يا أخي - رحمك الله - إلى الأرض المرتفعة كيف يسيل الماء عنها يمينا وشمالا ولا ينالها منه إلا شيء قليل، والأرض المستوية تتشرب ماءها فقط، والأرض المنخفـــضة تشرب من مائها وماء غيرها، لأن الماء لا يثبت أيضا ولا يجرى إلا فى الأماكن المنخفضة.

وقال تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ﴾ (الأنبياء /٣٠) وانظر إلى الدخان حيث كان لا يطلب إلا العلو فهل له من فائدة غير الأذى والسواد، أو يمتد من الكلب إصراره على الجوع وأكله من الفريسة وشربه من الخرارة مع انشراح صدره وعدم ادخاره وتحمل الأذى من أصحابه فيضربونه بالعصى والأحجار ومتى دعوه جاءهم يجرى ومحافظة على بيت صاحبه وغنمه ودوابه في دياجي الليالي وإن أطعمه فلا يبالى، وإن لم يطعمه فلا يبالى، ونومه على الوحل والذبل، وهو راض بذلك عن مالكه، وعن خالقه إلى غير ذلك، ويمتد من الديك عدم الغفلة عن ربه، وغيرته على عياله، وسخاوة نفسه، لو لم يجد إلا حبة واحدة يأخذها بمنقاره وينادى لهم ويطرحها بينهم، ويمتد من العاصي أيضا الندم مع الذل والانكسار، وصبره على مصائب الذنوب، وبتحقق إنه مخلوق مثله، وأن الذي ابتلاه بمثل ذلك قادر أن يبتليه كما ابتلاه ؛ فيحمد الله الذي عافاه[1] مما

---

(١) لقوله (صلى الله عليه وسلم) في حديث رواه الترمذي عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إذا رأى أحدكم أحدا في بلاء فليقل: الحمد لله الذي عافاني مما ابتلاك به وفضلني على كثير ممن خلق تفضيلا، فإنه إذا قال ذلك كان شاكرا لتلك =

ابتلى به أخوه ويرحمه بقلبه ويدعو له بظهر الغيب بالمغفرة والتوبة والإنابة وهكذا سائر الأكوان والله يقول الحق وهو يهدى السبيل والحمد لله وحده.

نهاية الكتاب

هذا وقد وجد فى آخر نسخة المؤلف، عفا الله عنه: قاله بفمه ورقمه بقلمه خويدم الفقراء، وأضعف الضعفاء، وأعجز العاجزين، المعترف بتقصيره في كل وقت وحين

المرتجى من مولاه أن يسامحه، ويغفر له، ولإخوانه، وأحبائه
والمسلمين: محمد بن علي الشافعي الخلوتي النقشبندي
الجلوتي، أمده الله بمدد الأنبياء، والأولياء، والأصفياء
والصديقين، والمقربين، والشهداء، والصالحين
وجعله من جملة خدامهم، وممن يحبهم
ليكون بذلك من الفائزين.واغفر لمن طالع بها
وأصلح ما يبدو له من فسادها، ودعا له
بالمغفرة وحسن الخاتمة ولإخوانه والمسلمين
وقد وافق الفراغ منها فى خمسة عشر
خلت من ذي الحجة سنة ست وتسعين ومائة وألف
من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة
وأتم التسليم أمين أمين
اللهم أمين
آمين.

النعمة) قلت: رواه الترمذي باختصار، رواه البزار والطبراني في الصغير والأوسط بنحوه وإسناده حسن.

انظر: الهيثمي: مجمع الزوائد: ١٠ / ١٩٩ الحديث رقم (١٧١٣٨).